


محمد صلى الله عليه وسلم
في
التوراة والانجيل والقرآن

بقلم
ابراهيم خليل أحمد

مكتبة الوعي العربي



محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم المصطفى

في

التوراة والإنجيل والقرآن

بقلم

ابراهيم خليل أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم للمؤلف

الحمد لله الذى هدانى إلى الإسلام ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته أجمعين . أما بعد :

فقد نشأت نشأة دينية ، وكان طبيعياً أن خصصت حياتى وجهادى ومالى فى سبيل الله مخلصاً متفانياً ابتغاء مرضاته .

والله سبحانه وتعالى الخالق قد خلق الإنسان وفضله عن سائر خلقه بما حباه وكمله بنعمة العقل والقدرة على التعقل والإدراك . وكان لهذا حق لله سبحانه أن يحاسب الإنسان عما يفعله إن خيراً أم شراً .

والله سبحانه وتعالى تمكيناً للإنسان من العزة بالعقل لم يفرض كيانه فرضاً سواء أرضى أم لم يرض . بل توخى هبته للانسان من العقل ومن العقل أراد أن يدخل إلى قلب الإنسان بالإيمان لهذا قيل فى التوراة للباحثين عن الحق « وتعرفون الحق والحق يحرركم » .

ويقول الله تعالى : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) بل يتجه الله جل شأنه إلى أولئك الذين لم ينعموا بنعمة البصر فيستلهمهم البصيرة بقوله تعالى : (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) وهكذا يهدى الله الإنسان إلى الطاقات العظمى

لنعمة العقل لتكون أساس الإيمان .

والتاريخ شاهد صدق على رجال من كبار اللاهوتيين الذين ناشدوا الحق واستبسلوا له ، فهذا آريوس فى القرن الثالث الميلادى الذى استبسل لعقيدته عن المسيح عليه السلام بما يتقارب مع عقيدة المسلم عنه.

وذاك لوثيروس الذى نادى بالإصلاح الدينى وحمل لواء الإصلاح فى عزم وتصميم ونادى بأن الله وحده هو الغفور الرحيم وأن البشر جميعهم سواسية أمامه لا فضل لكاهن على مواطن إلا بالتقوى .

وفى هذا يقول نبى الله داود عليه السلام : « باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته الذى يغفر جميع ذنوبك الذى يشفى كل أمراضك » مزمور ١٠٣ : ٢و٣ بل يؤكد أن الغفران قاصر على الله جل شأنه فيقول : « عند كثرة هموى فى داخلى تعزياتك تلذذ نفسى » مزمور ٩٤ : ١٩ .

وبهذا نخلص إلى الحقيقة التى يؤمن بها المسلم والتى يوضحها قول داود عليه السلام: « إن كنت تراقب الآثام يارب فمن يقف . لأن عندك المغفرة لكى يخاف منك » مزمور ١٣٠ : ٣ .

إذن الطريق إلى الله واضح المعالم . والوصول إليه رائده المنطق والعقل والرسالات السماوية جميعها تناشد الإنسانية ما قاله

المسيح عليه السلام « الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا » إنجيل يوحنا ٤ : ٢٤ .

وفى هذا المعنى يقول الله سبحانه وتعالى : (فأينما تولوا فثم وجه الله) .

والذى حفزنى إلى البحث بغية النفع العام هو ما تنبأ به المسيح عليه السلام عن الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله : « الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » إنجيل متى ٢١ : ٤٢و٤٣ .

ومن دواعى الاطمئنان واليقين أن هذا السند يرتبط ارتباطا وثيقاً بقوله تعالى:(الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل) .

من هنا بدأت فى اطمئنان ويقين تام أبحث عن هذا الرسول الأمى الذى تنبأ عنه المسيح عليه السلام وأشار إليه بقوله (المسيا المنتظر) .

ومن هنا بدأت أربط بين رأى آريوس فى القرن الثالث الميلادى ، وآراء لوثيروس فى القرون الوسطى. والنبوات العديدة فى التوراة والإنجيل والأنبياء والمزامير عن الرسول المصطفى حتى

مكننى الله إلى اخراج هذا المؤلف الطيب لأمة خيرة .

وما استرعى ناظرى عند الولوج لهذا البحث هذه العناصر الآتية :

١ — الوحدانية .

٢ — الغفران .

٣ — المبادىء وتقويمها بالأشخاص .

٤ — الرسالات السماوية .

(١) الوحدانية

قرأت بتأمل وتفكير سورة الإخلاص : (قل هو الله أحد. الله الصمد . لم يلد . ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحــــد) صدق الله العظيم .

وأخذت أتأمل الوحدانية فى القرآن الكريم ، الأمر الذى يستطيع العالم وغير العالم فهمه واستيعابه وإدراكه والإيمان بما يتضمنه من المعانى ، من غير إجهاد الفكر ، أو عناء الدرس والتحصيل .

وقارنتها بالوحدانية التى وردت فى إنجيل متى فى الباب الأخير والعدد الأخير : الآب والابن والروح القدس « إله واحد آمين» وعند دراستى النص الأصلى علمت أن هذه العبارة لم ترد فى الأصل

اليونانى .

هذا بالإضافة إلى بلبلة أفكار عامة الناس وحيرة جهابذة العلماء فى الدفاع عن هذه العقيدة السقيمة التى كشف التاريخ عنها القناع ، وأكد العلامة جارسلاف كربنى أستاذ الحفريات فى جامعة اكسفورد فى كتابه (ديانة قدماء المصريين) إن عقيدة التثليث مستمدة من الوثنية الفرعونية .

(٢) الغفران

قرأت بتأمل وتفكير قوله تعالى : (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم)(١) وقارنت بين هذه الآية وما ورد فى الإنجيل عن الغفران « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة» وبالقول « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الحبيب لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » .

قارنت بين العقيدتين :

الأولى : إن رحمة الله ومغفرته تكون لعباده بدون قيد أو شرط مادى .

والثانية : إنها مقيدة بقيود : من جانب الله يبذل ابنه الحبيب حسب مايعتقدون، ومن جانب المرء بضرورة الإيمان بهذا الابن.

---

(١) ٥٣ : الزمر

ومن هذه العقيدة نشأت فريضة كنيسية تعرف بسر الأفخارستيا وفيها يؤمن المسيحى باستحالة الخبز إلى جسد المسيح ، واستحالة الخمر إلى دم المسيح حقيقة ، وبتناولهما تصير فيه حياة أبدية .

ومن هذه العقيدة نشأت صكوك الغفران ، وما أدراك ما صكوك الغفران ، إنها بدعة وخروج عن الحق الإلهى الذى ندد به زعماء الإصلاح فى القرن الخامس عشر وعلى رأسهم لوثيروس الألمانى ثم زوينجلى ثم كلفن وغيرهم .

فحمدت الله على رحمته الواسعة ومغفرته اليقينية بدون قيد ولا شرط مادى ، بل بتوبة صادقة وعزم على الحياة الطاهرة : (إن الله يغفر الذنوب جميعا) صدق الله العظيم .

(٣) المبادىء وتقويمها بالأشخاص

قرأت قول الله تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)(١) .

وقرأت ما جاء بالإنجيل : « إذن لسنا أولاد جارية ، بل أولاد حرة » .

وزال عنى العجب عن التفرقة العنصرية عند الأمريكيين فى أيامنا هذه بين البيض والسود ، وزاد إعجابى وإجلالى للمسلمين أن سيد القوم يقف بجانب المواطن العامل والمزارع والتاجر

(١) ١٣ : الحجرات وردت الآية فى خطبة الرسول الكريم فى حجة الوداع أيضا

والموظف ، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، راكعين ساجدين ، يخشون ربهم ويرجونه الرضا والعفو ، فأيقنت أن مجد الإسلام والمسلمين فى هذا التساند الجميل ، والتآخى الحبيب ، (لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا أعجمى على عربى، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر — إلا بالتقوى) .

(٤) الرسالات السماوية

قرأت قول المسيح عليه السلام ، ومثاله : « خرج الزارع ليزرع وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق » وقرأت كتابة بولس ، ومثاله : « فإنى أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن ولكنى أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى إلى ناموس الخطيئة الكائن فى أعضائى ، ويحى ! أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت) .

قولان : أحدهما للمسيح يمتاز بالبساطة ووضوح التعبير ، وثانيهما يمتاز بعمق وغور المعانى ، وكلاهما ينسب بأنه قول الله .

وقرأت القرآن الكريم قوله تعالى: (ألم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ...) وما قبل ذلك فاتحة القرآن الكريم إلى قوله تعالى.. (قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس ».. الخ السورة وتأملت وتدبرت. وإذا بالله العزيز الحكيم يحسم الأمر بقوله:(أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا

كثيراً) ثم يتحدى الله خلقه بقوله : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) .

فازددت إيماناً ورسوخا ، وقررت قراراً ، واعتزلت الخدمة الدينية وظيفة . وانتهجت نهج الأعمال الحرة ، فعملت بشركة استندرد ستيشنيرى بالقاهرة من سنة ١٩٥٥ — ١٩٥٩ لكسب عيشى بالحق والأمانة ، وما زالت تربطنى بالكنيسة روابط كثيرة .

ويشاء الله أن يهدينى إليه ، أليس هو القائل (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام)(١) (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) (٢) .

ويشاء الله أن يعقد بينى وبينه حباً وداً قائما ، فيهدى إلى سيادة الدكتور محمد عبد المنعم الجمال حيث تلاقينا على تفسير القرآن الكريم ، فوسعنى فى قلبه حباً وإعجاباً ، ووسعنى بمنزله منزلة وكرامة فى دراسة وتفسير للقرآن الكريم ، وآليت على نفسى أن أعلنها صراحة بقبولى الإسلام دينا ، وبراءتى من كل دين يغاير ويخالف دين الإسلام.

ودخلت وأبنائى الأربعة إلى دين الله أفواجا ، نسبح بحمده وتمت كل الإجراءات القانونية من تغيير شهادات الميلاد بموجب

---

(١) ١٣٥ : الانعام (٢) ٢٢ : الزمر

قرار وزارى صادر من وزارة الصحة قسم المواليـد بتاريخ ٣٠ / ٥ / ١٩٦٠م

وبهذا انتهيت من الجهاد لاعتناق الإسلام حيث بدأت الجهاد فى سبيل الله ورسوله الكريم بحياة إسلامية مضيئة مشرقة نقية طاهرة ، وبالدعوة القوية المفعمة بالحب والإخلاص للقرآن الكريم والإسلام الحنيف ، وفقنا الله لما يريد ، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

ابراهيم خليل احمد

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ الكتاب

بقلم الدكتور عبد الحليم محمود على

عميد كلية أصول الدين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وصحبه والتابعين ، وبعد :

فقد طوف بنا الأخ الفاضل الأستاذ ابراهيم خليل أحمد . على مراحل التحريف للدين المسيحى مستنداً لها بأسانيد تاريخية ودينية فى عرض مقارن .

وخلص من كل ذلك إلى دين الحق الذى يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون وليحق الحق ، ويبطل الباطل ولو كره الكافرون .

ولقد تحدث سيادته عن دخوله فى الإسلام بعد أن تداركته عناية الله ، إذ سمع قوله تعالى : (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا : إنا سمعنا قرآناً عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا » .

فشرح الله صدره للإسلام ، وأخذ يبحث فى قضايا الوحدانية ،

والغفران ، وتقييم المبادىء بالأشخاص والرسالات السماوية في عرض مقارن .

وهو في هذا العرض التاريخي الدقيق المستند إلى النصوص والوثائق الصحيحة ، والمنطق العقلي يؤيد الإسلام تاريخياً فيما أتى به القرآن وحياً من السماء .

وممن أثبت هذا من علماء الغرب بصورة واضحة سافرة الأستاذ (شارل جنيبير) أكبر أستاذ لتاريخ الأديان في فرنسا مع أنه من أسرة مسيحية ، وكتبه مشهورة معروفة ومكانته العلمية ذائعة شائعة .

وإننا أمام هذه الرسالة القيمة ، لنشكر الأستاذ ابراهيم خليل أحمد ، فلقد وفق كل التوفيق في إخراجها للناس إحقاقا للحق وإبطالا للباطل في حيدة تامة لم يكن مدفوعا بدوافع عاطفية أو مادية . وإنما كان من عشاق الحق لذاته ، غير مبال بما يصيبه في سبيله .

ونرجو الله تعالى أن يديم له التوفيق والرشاد .

ولقد بين أن التثليث دخيل على المسيحية الحقة ، وأنه مستورد من الوثنية الفرعونية ، كما صرح بذلك الأستاذ (جارسلاف كريني) أستاذ الحفريات بجامعة « اكسفورد » في كتابه « ديانة قدماء المصريين » وأن هذا التثليث لم يوجد في الأصل اليوناني .

وصكوك الغفران ، واستحالة الخبز إلى جسد المسيح ، عليه السلام .خروج عن الحق الإلهى ،كما صرح بذلك زعماء الإصلاح فى القرن الخامس عشر ، وعلى رأسهم : (لوثيروس الألمانى)

وبشرت التوراة بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم فى سفر التثنية : ٣٣ : ٢ « جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبل فاران . »

وتلك هى الرسالات الثلاث : لموسى — وللمسيح — ولمحمد عليهم جميعاً أفضل الصلاة والتسليم .

وهذا مصداق قوله تعالى فى القرآن الكريم :

(والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين) .

لأن منبت التين والزيتون مهجر ابراهيم ، ومولد عيسى عليهما السلام ، وطور سينا مكان مناجات الله تعالى لموسى عليه السلام ،وفاران فى مكة : مولد الرسول محمد ، صلى الله عليه وسلم.

وجاء فى أسفار الأنبياء عليهم السلام : أنه صلى الله عليه وسلم روح الحق ، والفارافليط ، والمعزى ، وأنه لا يتكلم إلا بما يسمع من الله تعالى ، وأنه أساس الحق ورأس زاويته ، وهو البار الذى تنبأت به زوجة الوالى الرومانى .

والمخطوطات والآثار القديمة ، تثبت بشرية المسيح ، ووحدانية الله ، ومجىء محمد عليه وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وقد صرح إنجيل برنابا بذلك كله .

وكلمة : (مسيا) آرامية معناها (رسول) .

وعند مجيء الرسول عليه الصلاة والسلام يسجد العالم شكراً وسيجعل كل سنة هذا اليوبيل بدل كل مائة سنة ، وهذا الذى قاله برنابا معناه : الحج فى الإسلام وهو الركن الخامس منه .

وكلمة : « إنجيل » معناها : بشرى ، لأن المسيح عليه السلام ، جاء مبشراً بقدوم محمد عليه السلام .

وتعاليم المسيح عليه السلام تهدم التعصب الطائفى والعنصرى كما جاء فى قصة الكاهن مع الجريح الذى مر عليه وتركه ، ولقد صرح الأسقف الاسكندرى « آريوس » : بأن المسيحية قد حرفت بما دخل عليها من المبادىء الفلسفية المستوردة من الهند والصين وفارس ومصر فلم يبق إذن غير الرجوع للحق ولدين الحق الذى تكفل الله بحفظه .

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

وليس أجمل من هذا ولا أحسن .

(ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلا) وبالله التوفيق » .

عبد الحليم محمود

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ الكتاب

بقلم الأستاذ محمد الغزالى

المراقب العام للدعوة — ومدير إدارة المساجد

دراسة الملل والنحل جزء مهم من ثقافتنا الدينية القديمة . .
ودراسة النصرانية خاصة وكتبها المقدسة لديها موضوع اجتذب انتباه العلماء المسلمين وكثرت فيه مؤلفاتهم .

ولا عجب فإن العلاقات بين الإسلام والنصرانية ظلت متشابكة ومعقدة من أمد طويل.

ومن المحزن أن تسفك فيها دماء كثيرة ، وكان أولى بالفريقين أن يقبل على ما لدى الآخر يدرسه بعناية وتمحيص ثم يدع للفكر المجرد أن يصدر حكمه ، وللرغبة الخالصة أن تأخذ وجهتها . .

ونحن — المسلمين — غير مسئولين عن الطريقة الدامية التى سارت فيها العلاقات العالمية بين الإسلام والصليبية . إن الحقد التقليدى جزء من السياسة الأجنبية نحو الإسلام .

أما الإسلام فهو يقول لأتباعه : (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن — إلا الذين ظلموا منهم — وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون) .

لكن ما الذى أنزل إلى أهل الكتب الأولى ؟

إن المواريث السماوية بين أيدى القوم تحتاج إلى تأمل وطول نظر .

ففيها كلام حسن عن الله الواحد ، وعن وصاياه للعالمين بالاستقامة والتقوى .

وهذا الكلام يستحق القبول والعناية .

بيد أن هناك كلاماً آخر يشعر الإنسان الحصيف بقلق عندما يتلوه ذاك الذى ينسب إلى الله الكبير صفات تتنزه عنها ذاته العليا . . . ثم ذاك الذى يؤرخ لأنبياء الله — وهم قمم الإنسانية من أزلها إلى أبدها — فيبرزهم وكأنهم خريجو حانات وأحلاس شهوات .(١)

وشىء آخر لا يعود إلى هذه الكتب قدر ما يعود إلى أصحابها وهو تواطؤهم على جحد العروبة ونبيها الخاتم لما سبق ، صاحب الرسالة التى قدر الله أن تصحب العالم فى مراحل وجوده حتى الحصاد الأخير للنشاط الإنسانى فوق الأرض . . .

إن إنكار نبوة محمد صلوات الله عليه وتناسى دلائلها الثابتة فى الكتب المقدسة عند القوم شىء مستغرب .

ومن حق الباحث المسلم أن يجلو غوامضه .

---

(١) طالع قصة لوط فى سفر التكوين ، وسفر نشيد الإنشاد .

وقد وفق الله الأخ المخلص السيد / إبراهيم خليل أحمد إلى تأليف هذه الرسالة فى هذا الموضوع وسيادته خبير به بل خبير بالعهد القديم والعهد الجديد .

وعندى أن أصحاب الدراسات الإسلامية لا يستكملون ثقافتهم حتى يطلعوا على أمثال هذه الرسائل ويتعرفوا منها ما لدى الآخرين من تراث يقترب منا أو يبتعد عنا .

وفق الله المؤلف الفاضل إلى خدمة الحق وأجزل مثوبته؟

٤ / ١١ / ١٩٦٣ محمد الغزالى

التوراة والإنجيل تتنبأ ببعث الرسول الكريم

أرسل الله رسوله الكريم وأمره بالتبليغ (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) (١)، وهنا يتبادر إلى ذهن الإنسان الذى يتذوق حلاوة الإسلام دينا أن يتساءل : ما الرسالة ؟ فيوحى القدير بقوله إلى الرسول الكريم ليجيب بقوله تعالى : (قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) (٢)، ويزكى الله الحكيم نبيه لأهل الكتاب بقوله تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) (٣)

ولهذه التزكية من رب العالمين للنبى الكريم وجب على العالمين الإيمان به. ومن أهل الكتاب راسخون فى العلم (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك)(٤) (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين)(٥) أولئك هم : (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل).(٦)

---

(١) ٦٧ : المائدة (٢) ١٥٨ : الأعراف (٣) ٢٨٥: البقرة
(٤) ١٦٢ : النساء (٥) ٨٣ : المائدة (٦) ١٥٧ : الأعراف

وللمسلم أن يعتز بدينه ، فهو كالشمس تشرق على المسلمين وغير المسلمين .

وللمسلم أن يعتز بإسلامه ، فهو كالهواء النقى :لا يستغنى عنه الخلق ، ولا حياة لهم بدونه .

وللمسلم أن يعتز بقرآنه ، فهو كالماء : فيه حياة لكل من نهل منه .

وليس بعجيب أن يوصى الله المسلم بقوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون)(١) . وقوله تعالى : (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)(٢)

والواقع أن الله ميز المسلم بإقامة الدين بقوله تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه). (٣)

بشارات من التوراة والانجيل

أولا ـ من التوراة :ـ

التوراة كلمة عبرية تعنى « قرآن » وبهذا صار سيدنا موسى

---

(١) ٤٦ : العنكبوت (٢) ١٣٦ : البقرة (٣) ١٣ : الشورى

عليه السلام يتلقى الوحى من الله ، فيقرؤه لبنى قومه الإسرائيليين وعند قراءة التوراة كان على الحبر أن يتأكد من طهارة جسده من كل دنس ، وعند ذكره للفظ الجلالة يجب أن يخر ساجداً خاشعاً من خشية الله تعالى .

ولقد تنبأ سيدنا موسى عليه السلام ببعث الرسول الكريم فى عدة آيات .

١ — قال فى سفر التثنية ٣٣ :٢(جاء الرب من سيناء،وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران) .

وهذه الآية الكريمة هى البركة التى بارك بها سيدنا موسى عليه السلام بنى إسرائيل فى برية سيناء قبل غروبه إلى الراحة الأبدية

ولكى نتفهم هذه المعانى لا يسعنا إلا التدبر فيما جاء فى القرآن الكريم من قوله تعالى :

(والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين)(١)

ومن هذه الآية القرآنية الكريمة نجد تطابقاً تاماً كاملا فى الوسيلة والتعبير ، إذ أقسم الله تعالى ببقاع مباركة عظيمة ظهر فيها الخير والبركة بسكنى الأنبياء. فالتين والزيتون مجاز عن منابتهما بالأرض المباركة وفيها مهجر إبراهيم ، ومولد عيسى ومسكنه عليهما السلام وطور سينين الجبل الذى كلم الله عليه سيدنا موسى عليه السلام والبلد الأمين مكة المكرمة التى ولد فيها وبعث منها أشرف الخلق وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وفيها البيت العظيم .

---

(١) سورة التين ١ ، ٢ ، ٣

والتطابق بين الآية التى وردت فى التوراة والآية القرآنية هو: سيناء مجاز عن الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام. وسعير مجاز عن الأرض المباركة التى ولد فيها سيدنا عيسى عليه السلام وسكن بها وجال فيها يصنع خيراً للبشرية ، وفاران مجاز عن الأرض التى سكن إليها جد الرسول الكريم : سيدنا إسماعيل عليه السلام .

ولأامر الذى يسترعى الانتباه هو كيف نستدل على أن فاران هى الأرض المباركة التى سكن فيها سيدنا إسماعيل جد الرسول الكريم عليهما أفضل الصلاة والسلام ؟

والدليل على هذا من التوراة فى سيرة سيدنا ابراهيم عليه السلام مع زوجتيه سارة وهاجر ، لقد كانت هاجر جارية للسيدة سارة وصارت زوجة لسيدنا إبراهيم عليه السلام لإنجاب نسل له . وظنت السيدة سارة زوجة سيدنا إبراهيم أن مهمة جاريتها السيدة هاجر هى أن تنجب نسلا مع بقائها جارية تسخرها السيدة سارة كيفما شاءت وأرادت ، (هذه هى القصة فى سطور) .

وأنجبت السيدة هاجر ابنا لإبراهيم عليه السلام ، وكان هذا الابن قرة عينيها وبهجة قلبها لكن الزمن لم يرحمها فأذلتها سيدتها السيدة سارة، وخضعت هى لها ، وازدادت السيدة سارة إذلالا لها وتعنتاً، فاستجارت بزوجها إبراهيم عليه السلام، لكنه تركها لسيدتها السيدة سارة بقوله لها: (هوذا جاريتك). فاشتدت بها إيلاماً وإيذاءً حتى هربت ترجو النجاة مما ألم بها ، فقابلها ملاك الله فى الطريق .

وهذه هى قصة السيدة هاجر رضوان الله عليها فى سطور . فقال لها الملاك : (ما لك يا هاجر ؟ لا تخافى ، لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو ، قومى احملى الغلام ، وشدى يدك به لأنى سأجعله أمة عظيمة . وفتح الله عينيها ، فأبصرت بئر ماء ، فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام . وكان الله مع الغلام ، فكبر وسكن فى برية فاران . وكان ينمو رامى قوس ، وسكن فى برية فاران. وأخذت لهأمه زوجة من أرض مصر)... (سفرالتكوين ٢١ : ١٧ — ٢١) .

فيتضح من التوراة إذن أن الذى سكن أرض فاران هوسيدنا إسماعيل عليه السلام ، ولعل الله فى حكمته سمح بهذه التيارات التى تفاعلت فى بيت سيدنا إبراهيم عليه السلام ليستقر إسماعيل فى أرض يتميز بها ، وتأتى النبوة على لسان موسى عليه السلام بقوله : (تلألأ من جبل فاران) (تث ٣٣ : ٢) .

٢ — قال فى سفر التثنية ١٨ : ١٥ (يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون)

٣ — قال فى سفر التثنية ١٨ : ١٨ (أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به) .

والإعجاز فى هاتين الآيتين فى العبارة : (من إخوتك ، من وسط إخوتهم) ، والإعجاز الأقوى فى قوله : (أجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) ، هذا هو الإعجاز فى النبوة .

ويشاء الله — وهو العليم بجبلة بنى إسرائيل كما وضح لنا بقوله تعالى : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم. وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)(١) — يشاء الله أن يجعل الأمر لإسرائيل طلسما حتى لا يحرفوا الكلم عن مواضعه، فيظهر الحق ويزهق الباطل . ويحرصوا على حماية الرسول الكريم وهم لا يدرون ، وينتظروا الرسول الكريم ، لكنهم كانوا يظنون أنه إسرائيلي لا عربي ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خاب رجاؤهم ، وقابلوه بعدوان ، كأنه اغتصب منهم النبوة والكتاب والملك .

ولنا من التاريخ الديني عبرة ، والله يضرب للناس الأمثال لعلهم يهتدون . فلقد شاءت إرادة القدير أن ينجى شعبه من بنى إسرائيل من ظلم فرعون مصر ، وأراد فرعون أن يدرأ عن نفسه ما تنبأ له به الكهنة من أنه يولد من بنى إسرائيل واد ينتزع منه السلطان ، فيأمر بقتل الذكور ممن يولد للإسرائيليين ، حتى كان مولد سيدنا موسى عليه السلام ، ويسخر الله فرعون وجنوده ، لحماية هذا الوليد . وتبلغ السخرية حد القسوة ، فيجعل أمانه وملجأه فى بيت فرعون ، ليتهذب بكل حكمة المصريين ، وليعرف أسرارهم وقوتهم . وكأنه بإرادة إلهية جعله الله عيناً لإسرائيل ، ليتعرف على قوتهم وعنادهم ، هذه هى معاملة الله لكل ماكر عنيد

(١) البقرة : ١٤٦.

والله خير الماكرين . » إن إسرائيل أرادت أن تطفأ النور فى شخص اسماعيل عليه السلام لكن الله متم نوره ولو كرهوا .

فشكراً لإسرائيل ، لأنهم حرصوا على سلسلة نسب الرسول الكريم في جده إسماعيل . شكراً لهؤلاء ، لأنهم أشادوا بمجد العرب فى إسماعيل عليه السلام ، فأرادوا له اندثاراً ، لكن الله ثبته و ثبت ملكه فى حفيده الرسول الكريم . وأرادوا التنكيل به كما ورد فى قولهم (اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحاق) (تكوين ٢١ : ١٠) ، لكن الله يدعم إسماعيل بالحق بقوله : (سأجعله أمة عظيمة) (تكوين ١٧:٢١ — ٢١) . ليولد منه سيد ولد عدنان محمد صلى الله عليه وسلم .

وهكذا كان صراع بين إرادة بنى إسرائيل وإرادة الله القدير العزيز، وأنى للإسرائيليين أن يغيروا مقاصد العلى الكبير؟ فباتوا فى حسرة وندم.(وباءوا بغضب من الله) ثم(باءوا بغضب على غضب).

ودعنى أيها القارىء العزيز أتتبع البشارات من التوراة للأنبياء إلى الإنجيل ثم نربط هذه السلسلة بتقريظ من بعث الرسول الكريم ، فأنتقل بك إلى النبوءات التى نشرت بالرسول الكريم كما وردت عن الأنبياء .

ثانياً — من الأنبياء :

١-فى سفر دانيال:

فى الفترة من سنة ٥٩٧ إلى ٥٣٨ ق . م ، وفى أيام دانيال النبي

وفى أرض السبي بمملكة بابل ، وفى السنة الثانية من ملك الملك نبوخذنصر ملك بابل — يلهم القدير ذلك الملك الوثنى برؤيامنامية، ويكشف له الإمبراطوريات التى تتعاقب وتدول حتى يأتى الإسلام ديناً ودولة ، ويرمز إليه بحجر قطع بغير يدين ، والقصة وردت فى سفر دانيال ٢ : ١ — ٣٥ ، نكتفى منها بما ورد فى هذا الجزء (دانيال ٢ : ٣١— ٣٥) .(كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين. فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف ، فسحقهما فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً ، وصارت كعصافة البيدر فى الصيف ، فحملتها الريح ، فلم يوجد لها مكان . أما الحجر الذى ضرب التمثال فصار جبلا كبيرا وملأ الأرض كلها) .

هذه الرؤيا المنامية التى أراها القدير — وهو رب العالمين رب المؤمنين والوثنيين ، والجميع يعملون وفق إرادته وعلمه السابق ، لا يتعدى أى منهم النطاق الذى يحيا فيه إلا بإذنه — هذه الرؤيا يراها نبوخذنصر الملك ، ويعبر عنها نبى الله المؤمن ، ويفسرها بإذن الله ، ويتحقق هذا فى حقب التاريخ التى تعاقبت كالآتى :-

١ — سنة ٧٠١ ق . م مملكة بابل ، ويرمز إليها بالرأس من الذهب فى عهد نبوخذناصر .

٢ — سنة ٦١٢ ق . م مملكة الكلدانيين فى عهد ميداس، ويرمز لها بالفضة .

٣ — سنة ٣٣٦ ق . م المملكة الإغريقية فى عهد الإسكندر المقدونى ، ويرمز لها بالنحاس .

٤ — سنة ٥٣ ق . م الإمبراطورية الرومانية فى عهد بومباى ويرمز لها بالحديد .

٥ — سنة ٦١٢م الإمبراطورية البيزنطية فى الغرب، والإمبراطورية الفارسية الساسانية فى الشرق.

٦ — سنة ٦٢٧ م. الإسلام ، وكتب الرسول إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، والغزو الإسلامى دفاعا عن هجوم أعداء الإسلام، وتقويض الإمبراطورية البيزنطية فى الغرب والإمبراطورية الفارسية فى الشرق .

وهكذا بسط الإسلام لواءه فى ربوع الأرض من مشرقها إلى مغربها .

٢ — فى سفر إشعياء النبى :

فى سنة ٧٠١ ق.م ، وفى أرض السبى . وفى بابل تنبأ النبى الإسرائيلى أشعياء بالإسلام ديناً ودولة :

فى أشعياء ٦٠ : ١ — ٧ (قومى استنيرى ، لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك، لأنه هاهى الظلمة تغطى الأرض والظلام الدامس الأمم. أما عليك فيشرق الرب ، ومجده عليك يُرى . فتسير الأمم فى نورك ، والملوك فى ضياء إشراقك. ارفعى عينيك

حواليك ، وانظرى ، قد اجتمعوا كلهم ، جاءوا إليك يأتى بنوك من بعيد ، وتحمل بناتك على الأيدى . حينئذ تنظرين وتنيرين ، ويخفق قلبك ويتسع ، لأنه تتحول إليك ثروة البحر ، ويأتى إليك غنى الأمم . تغطيك كثرة الجمال بكران مديان وعيفة كلها تأتى من شبا تحمل ذهبا ولبانا . وتبشر بتسابيح الرب . كل غنم قيدار تجتمع إليك . كباش نبايوت تخدمك . تصعد إليك مقبولة على مذبحى وأزين بيت جمالى) .

وفى أشعيا ٤٢ : ١٠ — ١٢ (غنوا للرب أغنيـــة جديدة . تسبيحـــه من أقصى الأرض . أيهـــا المنحدرون فى البحر وملئه والجزائر وسكانها . لترفع البرية ومدنها صوتها . الديار التى سكنها قيـدار(١) ، لتترنم سالع(٢) ، من رءوس الجبال ليهتفوا ، ليعطوا الرب مجداً ، ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر . الرب كالجبار يخرج . كرجل حروب ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه).

وهنـا نتسائل : أين الرسول الكريم فى تلكم الآيات التى وردت آنفاً ؟

---

(١) قيدار : هو ابن سيدنا إسماعيل عليه السلام .

(٢) فى القاموس — سَلْع جبل بالمدينة ، وسُلَيْع بالتصغير — جبيل بالمدينة يقال له : غبغب . وقال السيد المستشار على على منصور : سالع جبل قبالة جبل أحد .

وللإجابة على هذا نجد سلة نسب الرسول الكريم من نبايوت ابن إسماعيل بن إبراهيم عليهم أفضل الصلوات والسلام ، وهذه السلسلة النبوية الكريمة يدونها موسى عليه السلام هكذا : (وهذه أسماء بنى إسماعيل حسب مواليدهم : نبايوت بكر إسماعيل،وقيدار ... اثنى عشر قبيلة) — (سفر التكوين ٢٥ : ١٣) ،

ويزداد الأمر وضوحاً وإشراقا بذكر رموز خاصة مثل (كثرة الجمال) . (يأتى إليك غنى الأمم) ، (غنم قيدار) ، (كباش نبايوت) ، (تصعد مقبولة على مذبحى) ، إشارة إلى يوم النحر بمنى ، و « جبل عرفات بمكة » (الجزائر وسكانها) (الديار التى سكنها قيدار) ، (الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض) ولقد قال الغرب : إن الإسلام قام غازياً كجبار ، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه .

٣ـ فى سفر حبقوق:

قال نبى العهد القديم : (الله جاء من تيمان . والقدوس من جبل فاران . سلاه جلاله غطى السموات . والأرض امتلأت من تسبيحه . وكان لمعان كالنور . له من يده شعاع وهناك استتار قدرته) (حب ٣ : ٣ و ٤) .

يتنبأ حبقوق بالرسول والرسالة وامتداد رقعـة الإسلام ، فيوضح سلسلة نسب الرسول الكريم بمنبت جده إسماعيل عليه السلام فى أرض فاران . ثم يتحدث عن امتداد الإسلام حيث

تسبح الأرض بحمد الله قائلة لا إله إلا الله محمد رسول الله. ثم يتحدث عن الركع والسجود الذين يملأون الأرض بحمده وتسبيحه ثم يتحدث عن الإعجاز للقرآن الكريم ، الإعجاز العلمى فى كل ميادين العلم ، وإعجاز تأثيره على السامعين : (إنا سمعنا قرآناً عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به) .

أنتقل بالقارىء العزيز إلى مرحلة ثالثة وهى البشارات التى وردت عن الرسول الكريم التى جاءت فى الإنجيل .

ثالثاً ـ نبوءات من الإنجيل :

يقول سيدنا عيسى عليه السلام للحواريين : (إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم . ولكن لا تستطيعون الآن أن تحتملوا . وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به . ويخبركم بأمور آتية) (إنجيل يوحنا ١٦ : ١٢و١٣) .

ولعلك أيها القارىء العزيز تستطيع أن تجمع بين قول عيسى فى هذه الآية ،وقول موسى فى الآية التى وردت آنفاً بصحيفة :٢٣ (وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) . فتجد الأضواء تسلط على نبي سيأتى ، من هذا النبى ؟ لم يكن موسى ، ولم يكن عيسى ، فمن هذا النبى الكريم ؟ إن الأضواء تتجمع فى بؤرة واحدة لتكشف عن شخصية هذا النبى .

ولعل سيدنا عيسى عليه السلام يزيد وضوحاً فى تعريفه عن هذا

النبي ، فيخبرنا عنه : أنه (روح الحق) ، ولسيدنا محمد أسماء منها ، (روح الحق) ويحدثنا الله عن الرسول الكريم فيقول : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى)(١) وهذا يتفق مع قول الرسولين الكبيرين : موسى وعيسى عليهما السلام : « لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به » ، « وأجعل كلامي في فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به » .

ويرتبط هذا النبي بإعجاز أبد الدهر بما يخبرنا به المسيح في قوله عنه (ويخبركم بأمور آتية) ، هذا الإعجاز هو القرآن الكريم معجزة الرسول الباقية ما بقي الزمن .

فالقرآن الكريم يسبق العلم الحديث في كل مناحيه : من طب ، وفلك وجغرافيا ، وجيولوجيا ، وقانون ، واجتماع ، وتاريخ .. ففي أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ماسبق إليه القرآن بالبيان والتعريف : أن يرى الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، إذ قال تيتوف أثناء رحلته في الفضاء حول الكرة الأرضية : إنه ذهل لهذا المنظر عند بزوغ الخيوط الأولى من النور لتنقشع على أثرها الخيوط الأخيرة للظلام وفي رحلته استطاع أن يرى كروية الأرض وقد سبق القرآن الكريم فوضح الأمر بقوله : (والأرض بعد ذلك دحاها)(٢) .

(١) ٣ — ٥ : النجم (٢) ٣٠ : النازعات .

ويتحدث جاجارين عن رحلته فى الفضاء إلى القمر بمشاهداته للأفلاك ، ولكن القرآن الكريم قد سبق ، فأخبر بالأمر فى قوله تعالى : (خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم)(١) ، وقوله تعالى : (والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها : والنهار إذا جلاها : والليل إذا يغشاها . والسماء وما بناها والأرض وما طحاها . ونفس وما سواها)(٢) صدق الله العظيم.

وأعتقد يقيناً أنى لو كنت إنساناً طبيعياً لا يؤمن برسالة من الرسالات السماوية ، وجاءنى نفر من الناس وحدثنى بما سبق به القرآن العلم الحديث فى كل مناحيه — لآمنت برب العزة والجبروت ، خالق السموات والأرض ، ولن أشرك به أحدا . فكيف بى وقد أضاء الله قلبي بنور من الإيمان بتلكم الرسالات السماوية . فما أن أشرقت شمس الإسلام حتى تمت الاستنارة المطلقة والإيمان الكامل: (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) (٣)

(١) ١٠ : لقمان . (٢) أوائل سورة الشمس .
(٣) ٣ : المائدة .

ما الذى اختلف عليه أهل الكتاب

إن العداوة القائمة بين العرب و بين إسرائيل عداوة قديمة بقدم الزمن ، فمنابتها منذ عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وجذورها تتأصل فى قلب السيدة الأولى فى تاريخ الإيمان وهى السيدة سارة ، وسهام هذه العداوة موجهة إلى السيدة الوديعة المطمئنة ، التى شاء القدر أن تصير لها جارية ، وهى السيدة هاجر .

لقد أرادت سارة ابنا لإبراهيم ، وهى المرأة العاقر ، فأدخلت إبراهيم على هاجر جاريتها . فحملت هاجر ، وولدت إسماعيل ، وظنت هاجر أنها أصبحت حرة تشارك السيدة سارة قلب إبراهيم عليه السلام . لكن سارة سرعان ما امتعضت ، وصرخت إلى سيدنا إبراهيم قائلة : «ظلمى عليك ، أنا دفعت جاريتى إلى حضنك. فلما رأت أنها حبلى صَغُرْتُ فى عينيها. يقضى الرب بينى وبينك » : (سفر التكوين ١٦ : ٤و٥).

ولم يجد سيدنا إبراهيم عليه السلام إلا التسليم لإرادة زوجته سارة ، فقال لها : « هوذا جاريتك فى يدك . افعلى بها ما يحسن فى عينيك . فأذلتها ساراى ، فهربت من وجهها » : (سفر التكوين ١٦ : ٥و٦) .

وتوارث الإسرائيليون هذه العداوة من جيل إلى جيل حتى كان عهد الحواريين ، فقال بولس المدعو رسولا لشيعة النصارى :

(ماذا يقول الكتاب ؟ اطرد الجارية وابنها ، لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة . إذن أيها الإخوة لسنا أولاد جارية ، بل أولاد حرة) (غلاطية ٤ : ٢٩ — ٣١) .

وتوارث الإسرائيليون هذه العداوة وتأصلت فى نفوسهم . وأثمرت غرورا وعنجهية ، فظنوا فى أنفسهم أنهم (شعب الله المختار) ، وأن بقيـة الخلق هم الأمم الذين لا يرقون إلى مرتبـة الإنسانية ، فهم عبيد الأرض ، وهم الأرقاء ، هم حثالة الخلق . هذا ظنهم ، وهذا افتراؤهم ، وبئس ما يفترون .

وجاء النبى الكريم بالبشرى والرحمة للعالمين . فقال : قال الله تعالى : (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم)(١) فأكرم الله سبحانه وتعالى الإنسان بالعزة والكرامة : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

أكرم الله المجتمع ببناء سليم : (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) ، وفى هذا البناء السليم الخير والرفاهية والسلام .

ولعلك أيها القارىء استطعت أن تدرك أن الإسلام يبنى الإنسان بكرامة ، ويبنى الإنسانية بعزة بالتعاون الاشتراكى ،

---

(١) ١٣ : الحجرات .

ويؤلف بين قلوبهم فى خشية الله وإجلاله ؛ (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

وهنا نتسائل : ما الذى يختلف عليه أهل الكتاب ؟

والرد فى هذا يكمن فى البحث العلمى الذى قام به العلامة البريطانى البروفسور توينبى ، من بحث مستند إلى التاريخ الزمنى وتاريخ التوراة والإنجيل معبراً عن رأيه بقوله : « إن النفسية التى تدمغ اليهودى أساسها خطيئتهم القاتلة التى ارتكبوها فى حق أنفسهم ، إذ كانوا فى سالف العصور الشعب الوحيد الذى بلغ مكانة روحانية سامية بفضل اعتناقه وحدانية الله ، وبلغوا مكانة روحية سامية دون بقية الشعوب : لكن اليهود بعد أن زودهم الله بهذه الحقيقة المطلقة الخالدة ، وأودع فيهم فراسة روحانية لا تبارى تركوا العنان لأنانيتهم ، فاستهواهم سراب دنيوى خادع ، إذ توهموا أن السمو الروحى الذى بلغوه إنما خلعه الله عليهم وحدهم ، بموجب عقد أبدى يجعل منهم شعب الله المختار .

وبذلك تردوا فى خطأ مميت . ولعل هذه المفاهيم الخاطئة كانت سبباً فى غضبة الله عليهم حتى قال ذو العزة والجلال : (إنى جاعلك للناس إماماً . قال ومن ذريتى ، قال لا ينال عهدى الظالمين)(١).

وهنا أيضا نتساءل عن الدافع الذى قاد اليهود إلى اعتبار أنفسهم شعب الله المختار ، وإلى سيطرة تلك النفسية المميزة عليهم ؟؟

---

(١) ١٢٤ : البقرة

ويمكن الرد على هذا التساؤل فى الأحداث التى جلبها اليهود على أنفسهم . فمنذ القديم قال لهم خليفة موسى عليه السلام يشوع ابن نون — وهو يدخل بهم أرض فلسطين — : « بهذا تعلمون أن الله الحى فى وسطكم ، وطرداً يطرد أمامكم الكنعانيين ، والحيثيين ، والحويين . والفرزيين، والجرجاشيين والأموريين واليبوسيين » : (سفر يشوع ٣ : ١٠) .

قال لهم يشوع : «إن الله سيحارب عنكم ، وينتزع أرضاً من أهلها ويورثها لكم».

وسكن بنو إسرائيل أرض فلسطين منذ خروجهم من مصر سنة ١٣٧٥ ق م . وما زالت تلك الشعوب فى وسطهم . ومنذ تلك اللحظات الأولى بدأت فيهم رغبة قاتلة لمناهضة الشعوب حولهم ، ومناهضة الإمبراطوريات التى تكونت فى الشرق الأوسط ، وذلك بالعدوان على جيرانهم من الأمم الأخرى.

ولهذا عمد البابليون إلى اقتلاعهم من فلسطين ، ونقلهم إلى بابل فى عهد نبوخذنصر ، وفى سنة ٧٢٢ ق.م. غزا سرجون الثانى ملك أشور فلسطين ، ودمر هيكل سليمان ، وسبا الإسرائيليين إلى بابل ونينوى، وداس مقدساتهم . ولا غرابة بعد ذلك فى ضياع أصول التوراة والأنبياء والمزامير .

فلما انقضى أجل الإمبراطورية الأشورية بقيام إمبراطورية فارسية أسسها قورش — سمح لهم الفاتح الجديد بالعودة إلى فلسطين،

ولم يطل بهم المقام إذ استولت روما على فلسطين فى عهد بومباى العاهل الرومانى سنة ٥٣ ق.م. فخضعوا للامبراطورية الرومانية فى بادىء الأمر لكن سرعان ما تألبوا ، وعادَوْا جيرانهم، وتعدوا عليهم بالعدوان الأثيم ، مما اضطر جيرانهم إلى سحقهم، وتشتيتهم فى بقاع الأرض .

وهنا يتجلى الخطأ الذى تردوا فيه ، لقد ظنوا أنهم امتلكوا الأرض بقوتهم واقتدارهم ، ونسوا الله الذى أراد أن يورثها لهم فلما عاندوا وتمردوا سلمهم للهزيمة والسحق، وأنذرهم نبيهم أرمياء بهذا القول : « ويعبر أمم كثيرة فى هذه المدينة ويقول الواحد لصاحبه : لماذا فعل الرب مثل هذا لهذه المدينة العظيمة ؟ فيقولون: من أجل أنهم تركوا عهد الرب إلههم ، وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها » (أرميا ٢٢ : ٨و٩) .

لقد أنذرهم ذلك النبى سنة ٧٢٢ ق م. بهذا المصير ، ولم يرع إسرائيل الحق ولا الأمانة ، فكان قول الله عنهم: يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتىَ التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين . واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون)(١)

ولما تبين لليهود عقم العنف فى تحقيق غاياتهم فى السيطرة

---

(١) ١٢٢و١٢٣ : البقرة ، واقرأ الآيات ٤٠ — ٤٨ منها.

ركنوا إلى الخيال يستلهمونه حل مشكلة الحفاظ على كيانهم المهدد بالزوال ، فكان أن بث الأحبار فى نفوس اليهود أنهم شعب الله المختار، وأن العالم يتألف من أشتاتُ الناس مقدراً لهم الخضوع لسيطرتهم فى نهاية المطاف.

وأخذوا يتشبثون بأهداب الآمال العريضة فى مولد ملك من نسل داود ، يخلصهم من نير الرومان ، ويتسلط على الأرض ، ويمتلكون معه ، ويقيم لهم إمبراطورية كونية قاعدتها أورشليم « بيت المقدس » ويجعل منهم العنصر الحاكم ، وأطلقوا على المخلص المرتقب اسم المسيح ، والمسيح لقب ظهر فى التوارة يوم مسح شاوول بن قيس ملكا على إسرائيل ، ففى يوم تتويجه صبوا على رأسه دهناً ، ومسحوه به وبهذا سمى مسيح الله،أى الذى مسحه الله بدهن الابتهاج ، كعلامة الرضا والتأييد ، وأطلقوا على المسيح بن مريم المخلص ، أى يسوع ، وهى كلمة يونانية تفيد معنى : المخلص ، والكلمة يسوع مع تحوير بسيط ننطقها نحن المسلمين عيسى .

ويركن أهل الكتاب إلى نبوة ، وإلى تذكير بهذه النبوة ، أما النبوة فقد وردت فى سفر زكريا : (ابتهجى جداً يا ابنة صهيون ، اهتفى يا بنت أورشليم ، هوذا ملكك يأتى إليك ، هو عادل ومنصور ووديع وراكب على حمار ، وعلى جحش ابن أتان » (زكريا ٩:٩) وتذكير بهذه النبوة « قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان » (أنجيل متى ٥:٢١) .

ويأتى المسيح عليه السلام فيستنكر هذا كله .

١ — أما عن الإمبراطورية الإسرائيلية :- فإنه يقوض هذا الزعم بهذه الحقيقة فى قوله : « يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء والمرسلين ... هوذا بيتكم يترك لكم خرابا » ، وقد تم التخريب والتدمير الشامل فى عهد الدولة الفارسية الساسانية سنة ٦١٤ م .

٢ — وأما عن شخصيته - فإنه يقول: «مملكتى ليست من هذا العالم ،لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم إلى اليهود » (انجيل يوحنا ١٨ : ٣٦) .

وعندما أرادوا أن يأخذوه بمكر قدموا له ديناراً وسألوه : أنعطى جزية لقيصر ؟ فأجابهم : لمن هذه الصورة؟ ولمن الكتابة قالوا لقيصر. قال : ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله . وبهذا أفحمهم جواباًوحسم الأمر.

لقد اختلف اليهود فى إدراك ميراث الأرض .

واختلف النصارى فى إدراك شخصية المسيح عيسى بن مريم .

وفى هذا الاختلاف تضاربت أقوالهم ، وأصبحوا أمام الأمر الواقع أن يدافعوا عن هذا التضارب ، وأصبحت الأوهام فى الدفاع عن ذلك تكبر شيئا فشيئا حتى أصبحت عملاقاً يسيطر على تفكيرهم ،ويطغى عليها ، وصارت هذه الأوهام حقائق فى نظارهم ومن هنا كان سر متاعبهم ، وسر إتعابهم لمن حولهم ؟

وسأوضح لك أيها القارىء العزيز هذه الأوهام فى انتظارهم للملك مخلص فى صفحة ٤٤ بعنوان (المسيحية وتطويرها) .

المسيح عليه السلام صوت يتنبأ بمقدم الرسول الكريم

لقد جهد المسيح عليه السلام من الكهنة والكتبة والفريسيين والصدوقيين، وندد بهم بقوله: «ليس كل من يقول: يارب، يارب، يدخل ملكوت السموات. بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات. كثيرون يقولون لى فى ذلك اليوم: يارب، يارب أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة، فحينئذ أصرح لهم أنى لم أعرفكم قط، إذهبوا عنى يا فاعلى الإثم»، (إنجيل متى ٧: ٢١ — ٢٣).

وآسى للشعب فقال عنهم: «يقترب إلىّ هذا الشعب بفمه، ويكرمنى بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً، وباطلا يعبدوننى وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس..»، (أنجيل متى ١٥: ٨و٩).

وفى هذا القول ترديد لما قاله نبى العهد القديم أشعياء وهو فى أرض السبى فى بابل سنة ٧٠١ ق.م: «فقال السيد إن هذا الشعب قد اقترب إلىّ بفمه، وأكرمنى بشفتيه، وأما قلبه فأبعده عنى بعيدا وصارت مخافتهم منى وصية الناس معلمه. لذلك ويل للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب، فتصير أعمالهم فى الظلمة ويقولون من يبصرنا؟ ومن يعرفنا؟ يالتحريفكم! هل يحسب الجابل كالطين حتى يقول المصنوع عن صانعه لم يصنعنى. أو يقول الجبلة عن جابلها

لم يفهم ؟ » ، (سفر أشعياء ٢٩ : ١٣ — ١٦) .

فيقرر سيدنا عيسى عليه السلام قرار الرب . بانتزاع النبوة والكتاب من ذرية إسحاق ، إلى ذرية من ؟

قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب . الحجر الذى رفضه البناءون ، هو قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا ، وهو عجيب فى أعيننا . لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل أثماره » ، (إنجيل متى ٢١ : ٤٢ و٤٣) .

ولتفسير هذا القرار الخطير نستند إلى قوله تعالى فى القرآن الكريم لعلنا نهتدى إلى شخصية الرسول الكريم الذى يتحدث عنه المسيح عيسى بن مريم عليه السلام :

١ — الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية:

قال الرسول الكريم : (مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا، فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة فى زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبهم البناء فيقولون : ألا وضعت ها هنا لبنة فيتم البناء ؟ قال صلى الله عليه وسلم : فأنا اللبنة ، جئت فختمت الأنبياء) (١) . صدق رسول الله الذى يؤيده القدير بقوله : (إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون.

(١) روى هذا الحديث بألفاظ مختلفة عن أبى هريرة وأبى سعيد وجابر رضى الله عنهم (راجع باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء من كتاب الفضائل جـ ٤: صحيح مسلم ، طبع الحلبى) .

ولا بقول كاهن ، قليلا ما تذكّرون. تنزيل من رب العالمين)(١)

ولقد سبق أن وضحت من هو النبي الذى رفضه بنو قومه: إنه جد الرسول عليه السلام ، أنه سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وذلك بإقرار أهل الكتاب وتفاخرهم عليه بقولهم: «إذن لسنا أولاد جارية ، بل أولاد حرة » .

٢ — إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره :

قال الله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم)(٢).

ولعلك أيها القارىء العزيز استطعت أن تدرك المقصود بالحجر: إنه مجاز عن الرسول الكريم ، كما أن فاران مجاز عن الأرض التى سكنها جد الرسول الكريم سيدنا إسماعيل عليه السلام .

ومن هنا نستطيع أن ندرك النبوة العظمى التى تنبأ بها ملك وثنى ، وعبر عنها نبي من بنى إسرائيل هو سيدنا دانيال نبي الله فى العبارة «كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين ، فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف ، فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس ، والفضة والذهب معا ، وصارت كعصافة البيدر فى الصيف ، فحملتها الريح ، فلم يوجد لها مكان . . . أما الحجر الذى

(١) ٤٠ — ٤٣ : الحاقة .
(٢) ١١٠ : آل عمران .

ضرب التمثال — فصار جبلا كبيرا ، وملأ الأرض كلها » .

هذه هى الحقيقة التاريخية التى وردت فى الأنبياء فى سفر دانيال تؤيدها الحقيقة التاريخية إبان بزوع الإسلام وتقويضه لإمبراطورية الرومان بالغرب وفارس فى الشرق، وامتداد الإسلام شرقاً وغرباً ، وشمالا وجنوباً.

وفى هذه الحقبة من الزمن يتنبأ نبى آخر عن الجزيرة العربية وعن البلد الأمين وعن مناسك الحج . فيتحدث عن بزوغ نور الإسلام بقوله: « ها هى الظلمة تغطى الأرض، والظلام الدامس الأمم ، أما عليك فيشرق الرب ، ومجده عليك يرى ، فتسير الأمم فى نورك والملوك فى ضياء إشراقك) .

وهذه هى حقيقة تاريخية يثبتها التاريخ ، فبينما كان العالم الشرقى والعالم الغربى بفلسفاتهما العقيمة يعيش فى دياجير ظلام الفكر ، وفساد العبادة — بزغ من مكة المكرمة — فى شخص سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم — نور وضاء ، أضاء على العالم فهداه إلى الإسلام.

ويتحدث عن إقبال الأمم لمكة ولبيت الله الحرام ، يسوقون الهدى للذبح على جبل عرفات بقوله : « تغطيك كثرة الجمال بكران مديان ... تبشر بتسابيح الرب . كل غنم قيدار تجتمع إليك . كباش نبايوت تخدمك تصعد مقبولة على مذبحى ، وأزين بيت جمالى » .

المسيحية وتطويرها

يقول العزيز الحكيم : (قل يأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوارة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم) (١) ، ويقول أيضاً : (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب : يابنى، إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون).(٢)

قال المسيح عليه السلام : « متى جاء ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضاً على إثنى عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر » ، (انجيل متى ١٩ : ٢٨) .

لم يفهم الكهنة ولا الحواريون كلام المسيح عليه السلام فى جوهره الذى يعنيه ، بل حرّفوا الكلم عن مواضعه لدرجة أن تطلب أم ابنى زبدى منه عليه السلام بقولها : «قل أن يجلس ابناى هذان واحد عن يمينك والآخر عن يسارك فى ملكوتك » ، (انجيل متى ٢٠ : ٢١) ، فيجيبها بقوله: «مملكتى ليست من هذا العالم» .

ومُنى الحواريون واليهود قاطبة بخيبة أمل حينما قال لهم سيدنا عيسى عليه السلام : « مملكتى ليست من هذا العالم » ، حتى أن كبير كهنتهم جمع رؤساء الكهنة والفريسيين فى مجمع وقال لهم :

---

(١) ٦٨ : المائدة (٢) ١٣٠ — ١٣٢ : البقرة

« ماذا نصنع ؟ فإن هـذا الإنسان يعمل آيات كثيرة . إن تركناه هكذا يؤمن به الجميع، فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا .. أنتم لستم تعرفون شيئا، ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها » (انجيل متى ١١:٤٧ — ٤٩).

فلا بدع ولا ملام — والحالة هـذه بالنسبة إلى عقلياتهم المتحجرة — أن يكفروا برسالة سيدنا عيسى عليه السلام وقتما وقد يبشرهم بمملكة أخرى أخروية لا دنيوية ، مملكة روحانية وليست مادية .

لقد كفروا به ، وتآمروا على موته حتى أن بيلاطس الوالى الرومانى تقدم إليهم بقوله : « هوذا ملككم . . . فأجاب رؤساء الكهنة : ليس لنا ملك إلا قيصر » (انجيل يوحنا ١٩ : ١٤-١٦).

وأمام ثورة اليهود العارمة تقدمت كلوديا زوجة الوالى الرومانى بيلاطس تحذر زوجها بقولها : «إياك وذلك البار، لأنى قد تألمت كثيراً فى حلم من أجله» (انجيل متى ٢٧ : ١٩) .

ولم يسع بيلاطس وقد تيقن من براءة المسيح عليه السلام إلا أن يقول قوله المشهور : « إنى برىء من دم هذا البار » ، (انجيل متى ٢٧ : ٢٤) .

وما كان لبيلاطس أن يرفض رغبة زوجته كلوديا، السيدة البارة والمرأة فى أى ميدان تقوم بدور خطير فى حياة الشعوب ، فإلى جانب

هذه السيدة البارة سيدة شريرة وهى (هيروديا) التى استهوت هيرودس الملك بخلاعتها فى رقصها أمامه، وأخضع الملك لهيروديا ذاته وإرادته وانتهزت تلك، نشوة الملك، فطلبت رأس يحيى بن زكريا عليه السلام فى طبق، وكان لها ما أرادت، وقتل النبى، وفيهن يقول العزيز الحكيم : (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل أدخلا النار مع الداخلين . وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين . ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين .) (١)

لقد خاب الحواريون فى زعمهم فى المسيح حتى انبرى لهم بولس المدعو رسولا ، ورأى فى هذه من بلبلة الأفكار أن يجمع شتات الفكر فى عقيدة يكرز بها ويبشر، فكان أن اعتبر شخصية عيسى عليه السلام ملكا مخلصاً ، ولعله استقى هذا الاعتبار من الديانة السائدة فى تلكم الأيام، وهذه الفكرة قديمة بقدم التاريخ.

ولقد كشف القناع عن هذه الحقائق السير آرثر فندلاى فى كتابه (صخرة الحق) فى صحيفة ٤٥ ، فذكر ستة عشرة إلها ملكا مخلصاً، عرفوا قبل مجىء المسيح . وهؤلاء أيضا فى تواضعهم وحبهم

(١) ١٠ — ١٢ : التحريم .

لبنى قومهم ماتوا لأجل خطايا العالم ، وسمى كل واحد من هؤلاء إلها مخلصاً ، وأعطى لقب المسيح ، وهذه هى أسماؤهم :

١ — أوزوريس	مصر	١٧٠٠ ق . م .
٢ — بعل	بابل	١٢٠٠ ق . م .
٣ — أتيس	فرجيا	١١٧٠ ق . م .
٤ — ثاموس	سوريا	١١٦٠ ق . م .
٥ — ديوفسيوس	اليونان	١١٠٠ ق . م .
٦ — كرشنا	الهند	١٠٠٠ ق . م .
٧ — هيوس	أوربا	٨٣٤ ق . م .
٨ — أندرا	التبت	٧٢٥ ق . م .
٩ — بالى	آسيا	٧٢٥ ق . م .
١٠ — أياو	نيبول	٦٢٢ ق . م .
١١ — الستيس	فيريا	٦٠٠ ق . م .
١٢ — كويكس الكوت	المكسيك	٥٨٧ ق . م .
١٣ — وتيبا	ترفا نسكور	٥٥٢ ق . م .
١٤ — برومثيوس	اليونان	٥٤٧ ق . م .
٦٥ — كيرينوس	روما	٥٠٦ ق . م .
١٦ — مذرا	الفرس	٤٠٠ ق . م .

ويقول السير آرثر فندلاى فى كتابه الكون المنشور : (إن أول إله مخلص قرأنا عنه هو أوزوريس الذى ظهر فى مصر فى

القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، وكان أميراً مصلحاً ، فظن أنه إله ، لأن الآلهة كما يعتقدون تلبس لباس ذوى الشرف الرفيع . ولما ظهر شبحه بعد الممات ظنوا أن الآلهة سمحت له بالحياة ، وأنها لم تعد غاضبة على الشعب الذى كان يرزح فى خطاياه وآثامه ، وأنها رفعت عنه غضبها ولعنتها التى كتبت عليه بسبب آثامه وخطاياه .

وبهذا كان ظهور الفداء بعد الموت معناه أنه قهر الموت ، وفتح أبواب السماء للمؤمنين . وبذا عمل أوزوريس على « أن يتواضع ويصير مطيعاً حتى الموت » .

ولا عجب أن بولس مؤسس المسيحية يتحدث عن المسيح عليه السلام بقوله : « إنه تواضع حتى الموت ، موت الصليب » ومن هذه الزاوية بدأ بولس يكرز برسالته بقوله : « لأنى لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلا المسيح وإياه مصلوباً » ، (١ كو٢ : ٢) وفى هذا تطابق بين أوزوريس الذى أصبح مخلصاً وفادياً ووسيطاً للفراعنة، ومنهم يتقبل كل الحب والتقدير فى عبادتهم وسجودهم. له وبين المسيح كزعمهم المخلص والفادى والوسيط .

والحقيقة التى لا ريب فيها هى :

ظهر المسيح عليه السلام فى عهـــد الإمبراطور الرومانى أوغسطس سنة ١٤م . عقب فراغ طويل المدى من الجدب الدينى لبنى إسرائيل، وذلك تأديباً لهم إذ تركهم الله سبحانه وتعالى بلا راع يرعاهم ويهديهم سواء السبيل ، فقد قال الله عنهم فى محكم آياته :

(وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ، ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ، ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان . وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم ...) (١) ، وقوله أيضا : (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) (٢) ، وقال عنهم إيليا نبي العهد القديم : « قتلوا أنبياءك ، وهدموا مذابحك ... » ، وقال عنهم المسيح : « يا أورشليم ، يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء والمرسلين » .

وقد حقت عليهم غضبة الله حيث قال تعالى: (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) (٣)، فأصبحوا فترة من الزمن بلا نبي ولا رسول ، هذه الفترة تعبر عنها الكنيسة «فترة الصمت المطلق»

وبالإضافة إلى هذا الجدب الديني بالنسبة لإسرائيل كان العالم الروماني يشعر بنوع من الفراغ أو الجدب الديني كذلك. فالرومان أنفسهم بدأوا ـ ولا سيما المتعلمين ـ يناقشون الوثنية ، ويناقشون تقديس الأباطرة والأديان المحلية سواء أكانت يونانية أم لاتينية.

وقد اتجهوا إلى الآراء التي نادى بها الرواقيون . وحتى هذه الفلسفات أخذت تتضاءل أمام بحثهم عن حقيقة الوجود وحقيقة الله . وفي هذا الفراغ الديني الهائل لم يجد الرومانيون — وهم

(١) ٨٤ ، ٨٥ : البقرة (٢) ٨٧ : البقرة (٣) ١٣ : المائدة .

سادة العالم – وسيلة سوى الاتجاه شطر العقائد الدينية المختلفة المستوردة من الشرق ، مثل ديانة سيبل من آسيا الصغرى ، وديانة مثراس من فارس ، وديانة إيزيس من مصر ، وأخيراً المسيحية التي نبتت في فلسطين .

يقول السير آرثر فندلاي في كتابه (الكون المنشور) صحيفة ١١٩ :

(ترتبط خمسة أسماء بالتغييرات الفكرية الهامة في العالم وهي :

١ – كرشنا ٢ – بوذا ٣ – كونفوشيوس ٤ – سقراط ٥ – عيسى

ومع ذلك لم يترك واحد من هؤلاء أية كتابة شخصية ، وإنما تركوا أفكارهم لكي تسجلها الأجيال التالية .. ويجب أن يعلم كل إنسان أنه لا توجد وثيقة أصلية واحدة متعلقة بحياة عيسى) .

ثم يستطرد فيقول : (إن الأناجيل لا تعتبر سجلات تاريخية ، فأولها « مرقس » كتب حوالى سنة ٧٠ م ، « ولوقا » كتب بين سنة ٨٠ ، وسنة ٩٥ ، « ومتى » كتب حوالى ١٠٠ ، « ويوحنا » حوالى سنة ١١٠ ، وليس للأخير قيمة تستحق الذكر في سرد الحوادث الأكيدة ، ويظهر أن كل محتوياته لعب فيها خيال الكاتب دورا بعيدا . ثم جاءت بعد ذلك ترجمة الأناجيل من اللغة الآرامية الشرقية إلى اللغة اليونانية ، فاللغة اللاتينية الغربية ، وهنا حدثت أخطاء كثيرة ، إذ أن الكلمة الآرامية الواحدة قد يكون لها ٦ أو ٧ معانى مختلفة .

ويقول أيضا سير آرثر فندلاى فى كتابه « صخرة الحق » ٥٩ (إن الأناجيل الحالية لم تستقر إلا فى القرن الرابع الميلادى عقب مجمع قرطاجنة عندما تقرر أى الكتابات يحتفظ بها ، وأيها يرفض ويستبعد . وقبل ذلك التاريخ سنة ٣٩٧م لم يكن هناك شيء اسمه العهد الجديد الذى نعرفه اليوم . ويعلل أحد رجال الكنيسة القديس آيرونيوس اختيار أربعة أناجيل فى القرن الثانى بأن الأرض لها أربعة أركان) .

ويسترسل السير آثر فندلاى فى كتابه « صخرة الحق » صحيفة ٧٦ فيقول : (اكتشفت لوحة أثرية فى بابل تثبت أن إلههم بعل كان يتصف بنفس الصفات التى ألحقت بعيسى . وأن هذه اللوحة كتبت قبل العصر المسيحى بمئات السنين حوالى ١٢٠٠ سنة) . ثم وازن على ضوئها بين المبادىء البابلية والمبادىء المسيحية :

المبادىء البابلية مقتبسة من اللوحة الأثرية	المبادىء المسيحية من البابين ٢٧ ، ٢٨ من انجيل متى
١ — أخذ بعل أسيرا	١ — أخذ عيسى أسيرا .
٢ — حوكم بعل فى قاعة المحكمة	٢ — حوكم عيسى فى قاعة بيلاطس .
٣ — ضرب بعل	٣ — جلد عيسى .
٤ — أخذ بعل إلى الجبل	٤ — أخذ المسيح إلى الجمجمة .
٥ — أطلق سراح مجرم وأخذ معه مجرمان	٥ — أطلق سراح مجرم (باراباس) وأخذ معه مجرمان

المبادىء البابلية مقتبسة من اللوحة الأثرية	المبادىء المسيحية من البابين ٢٧ ، ٢٨ من انجيل متى
٦ — بعد أخذ بعل تهدمت المدينة	٦ — بعد موت عيسى تحطم الهيكل وخرج الموتى ودخلوا المدينة .
٧ — أخذت ملابس بعل	٧ — اقتسم الجنود ملابسه واقترعوا على لباسه .
٨ — ذهب بعل إلى الجبل، واختفى من الحياة	٨ — خرج عيسى من القبر وذهب إلى عالم الأموات .
٩ — ذهبت امرأة تبكى عند القبر	٩ — ذهبت مريم المجدلية تبكى عند قبر عيسى .
١٠ — عاد بعل إلى الحياة ثانية .	١٠ — ارتفع عيسى من القبر حياً .

وبنى المسيحيون على فكرة بنوة عيسى فكرة أنه المخلص الوحيد للبشرية من ذنوبها ، وفى هذا بالطبع كثير من الأخطاء والمعارضة للقوانين الكونية ، إذ أن المسئولية الشخصية واجبة فى كل القوانين . بل إن العلم ينادى بذلك أيضا .

فعلم الميكانيكا يقول : (لكل فعل رد فعل مساوله فى المقدار، ومضاد له فى الاتجاه) .

وعلم الطبيعة يقول (كل جسم يشع كمية من الإشعاع بمقدار ما يمكنه أن يستقبل).

فلا يمكن إذن أن يتحمل إنسان نتيجة عمل إنسان آخر

ولهذا جاء القرآن الكريم موضحاً مالم يفهمه الناس من الإنجيل فقال صريحا :

قل هو الله أحد

ولا تزر وازرة وزر أخرى .

فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره(١)

ويقول السير آرثر فندلاى أيضا فى كتابه (الكون المنشور) فى صحيفة ١٥٧ مقارنا المسيحية بالوثنية الفرعونية وتماما مثل ما كان يردد المصريون : (لما كان أوزوريس يحيا حقاً فسوف أحيا) (لما كان أوزوريس لن يموت فلن أموت)

نفس هذه العبارات يرددها المسيحيون الأولون والمتأخرون بقولهم : لما كان المسيح يحيا حقاً فسوف أحيا

« لما كان المسيح لن يموت فلن أموت ».

وللتأكد من هذا كله أنظر إلى : (يوحنا ٦ : ٣٢ — ٥٩ ، ١ كورنثوس ١٥ : ١ — ٥٨) تجد صدق التشابه فى المقارنة التى أتى بها السير آرثر فندلاى والتى دونت فى العهد الجديد .

ويسترسل السير آرثر فندلاى فيقول :

« نفس العبارات التى قيلت لأوزوريس نسبت إلى المسيح ، ولما أضيف اسم عيسى إلى قائمة الآلهة المخلصين أصبحت كل القصص التى قيلت عن الآلهة الوثنية تقال بالمثل تماماً عن عيسى المسيح . ومن تلك :

---

(١) سورة الزلزلة

١ — قصة الولادة من العذراء .

٢ — قصة المحاكمة قبل الموت ، وطريقة الإعدام ، وطريقة القيامة ، وطريقة الصعود .

٣ — قصة القيامة بالجسد .

تلكم القصص التي كانت تتكرر في المعابد القديمة صيغت في ألفاظ ، وركزت حول المسيح عيسى بدلا من أوزوريس الفراعنة ، وبعل البابليين ، وبروميثيوس اليونانيين ، أو أي واحد من الآلهة الآخرين .

ثم ينتهي بذكر رأيه فيقول في كتابه « الكون المنشور » صحيفة ١٨٤ :

« لا يعتبر عيسى إلها أو مخلصا ، وإنما هو رسول من الله ، خدم في حياته القصيرة في علاج المرضى ، وبشر بالحياة الأخرى ، وعلم بأن الحياة الدنيا ما هي إلا إعـــداد لحياة أخرى ، للملكوت الإلهي ، لحياة أفضل لكل من يعمل صالحا) .

ثم يؤكـــد براءة عيسى من شبهات المسيحية في أكثر من موضع ، فيقول في نفس الكتاب بصحيفة ١١٧ :

(إن بولس هو الذي وضع أساس الدين الذي يسمى الدين المسيحي . . الدين الذي ولد طفلا عملاقا متكاملا في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م بأمر الإمبراطور قسطنطين) .

ويقول العلامة روى ديكسون سميث في كتابه (ضوء جديد على البعث) صحيفة ٣٢١ :

(لا يوجد متدين مهما كان مذهبه أو فرقته يعتقد أن الله العظيم قد أرسل ابنه الوحيد إلى هذه البشرية التي لا توازي - في

مجموعها منذ بدء الخلق إلى نهايته ـ كوكبا من الكواكب المتناهية في الصغر ، لكي يعاني موتاً وحشياً فوق الصليب ، لترضية النقمة الإلهية على البشرية . ولكي يساعد جلالته على أن يغفر للبشرية ، على شرط أن تعلن البشرية اعترافها بهذا العمل الهمجي الذي لا يستسيغه عقل ، ألا وهو الفداء .

وإذا كان الله قد أذن بالصلب لأجل ترضيته فإنه يكون مشتركا في الذنب مع السفاكين الذين يكونون قد قاموا بمهمة إلهية . لماذا لا نعتقد أن الله ـــ والمستقبل أمامه كتاب مفتوح ـ قد سمح بتضحية رسوله لأنه تنبأ بالنتائج العظيمة من أن هذه الحادثة سوف تكون سببا في حد ذاته في انتشار الإنجيل) .

لقد كان الصلب خدعة كبرى بات على الإنسان أن يحل طلسمها . وهي عديمة التأثير على جلال الله بين غير المسيحيين عديمة التأثير على عدالة الله وضبط قوانينه ، تلك القوانين التي تنص على مسئولية الفرد وحده عن عمله وجزاءه عليه : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) .

ويقف القرآن الكريم كالعملاق . ليحسم هذه الفرية بقوله تعالى : (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله . وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقينا . بل رفعه الله إليه . وكان الله عزيزا حكيما) (١) .

(١) النساء : ١٥٧ ، ١٥٨ .

المسيحيون والتعاليم الكتابية

كلمة الله

(إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم)[1]

« فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله » (٢)

نور الله الوضاح — الذى ملأ العيون ، وأضاء السبيل منذ فجر التاريخ تاريخ الإنسانية — احتجب النور عن بعض الناس على مر العصور ، لا لأن النور ذاته قد تلاشى و توقف ، بل لأن هؤلاء الناس هم الذين وضعوا فى طريقه الحواجز حتى لا يصل إليهم ، و بذلك ضلوا وأضلوا معهم التابعين وهكذا قال المسيح للأحبار : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون » (متى ٢٣ : ١٣)

الدين الصافى الشفاف — الذى نزل كالسبيل شفاء للقلوب وضياء للعقول — اختلط وتلون وذهب مع الريح ، وجرت الإنسانية فى الطريق المنحدر حيث ينتظرها فى آخره حتفها

(١) آل عمران ٤٥ (٢) يوحنا ١ : ١

المشين ، الذى طالما حذرها منه القادة والرسل .

وينذرهم المسيح بقوله : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين، وتقولون : « لو كنا فى أيام آبائنا ما شاركناهم فى دم الأنبياء فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء ، فاملأوا أنتم المكيال مكيال آبائكم » (متى ٢٣ : ٢٩ — ٣٢).

وفى وسط الظلمة وفى عمق الهاوية تنبثق فجأة شعاعة ضوء كما انبثقت مرة لموسى فى سفح الجبل : « إنى أنا الله » نعم حمل الإنسان الكلمة فى طبيعته الخالدة فى روحه ، إنها كلمة الله . عادت اليوم صارخة مدوية تنادى أبناء آدم إلى سواء السبيل ، محذرة من اندفاعهم نحو الهاوية التى تنتظرهم إذا هم ظلوا سائرين فى نفس الاتجاه المادى الذى هم فيه اليوم يسيرون .

(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم . قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا) (١) .

إذن كل ما يضىء عقل الإنسان فى طريق دنياه المظلم هو كلمة الله من الله ، هو صوت هاتف فى قلب الإنسان ، هو صوت كاشف فى ناظرى الإنسان . ولم يكن عيسى أول الأنبياء ولا آخرهم : (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم : خلقه من تراب ثم

---

(١) المائدة ١٧

قال له كن فيكون) (١) ، «(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » (٢) .

ومنذ فجر التاريخ بدأت الكلمة فى الهبوط ، ولكنها كانت دائما لا تعم الأرض كلها بل غالبا ما غيرت وبدلت وحرفت بعد أن يغادر حاملوها هذه الدار .

وها نحن أولاء فى أوائل عصر جديد ، عصر لن يسمح للظلام بالعودة مرة أخرى ، عصر لن يفرض على البشرية نظريات خاطئة ، وخرافات يمجها العقل والمنطق .

لقد ظن البعض إن الإنجيل ينص على ألوهية عيسى ، وأن الله أرسل ابنه إلى الأرض ليخلص من عليها بتقديم ذاك الابن نفسه فداء عن الجنس البشرى ، وتحمله طوعاً واختياراً ذنوب وأوزار البشرية ثم انتقل هؤلاء ليطبقوا هذه الفكرة بعد ذلك فى جميع نواحى العلم . فظنوا أن الأرض إذ يختصها الله بذلك الشرف لابد وأن تكون مركز الكون كله .

ويقول السير آرثر فندلاى فى كتابه (صخرة الحق) ص ١٢٤ (من تأثير هذه الفكرة على الكنيسة الأولى ووقوفها فى تيار العلم » : (كانت الكنيسة تنادى بأن الأرض مستوية ، ومركزها فى بيت المقدس وظنت فى تلك الأيام أن الأرض هى وحدها

---

(١) آل عمران ٥٩ (٢) آل عمران ١٤٤

العالم الذى يتكون منه الكون، وأن الشمس والكواكب تدور حول الأرض) .

ولما حاول العلماء الخروج من هذا الحيز بعد القرن الخامس عشر الميلادى ، وإثبات أن الكون أكبر من الأرض — ظلت الكنيسة الأولى فى أوهامها تنادى أن هذا الكشف يتعارض مع الافتراض المسيحى وفكرة الإله المخلص. فأحرق «برونو» فى روما لما نادى «برونو» بأن هناك عوالم أخرى غير الأرض . وأخمدت الكنيسة أنفاس «كوبرنكوس» الذى لم يجرؤ على أن يظهر كتابه الذى يقول فيه : « إن الأرض ما هى إلا كوكب مثل غيرها من الكواكب السيارة . إلا وهو على فراش الموت » . و«جاليليو» اضطر وهو راكع على ركبتيه ذليلا — خوفا من المحاكمة — أن يكذب ماسبق أن صرح به من أن الأرض تدورحول الشمس .

وهكذا استمرت الكنيسة واقفة بالمرصاد لكل من يأتى برأى جديد يتعارض معرأيها. فإنها فى الحال ترميه بالكفر والإلحاد. ولكنها اضطرت أخيرا أن تستسلم وتعترف بصحة هذه الاكتشافات بعد مضى أربعة قرون ، أى فى القرن التاسع عشر .

ثم سار العقل البشرى فى طريقه إلى غزو الفضاء وتطوير العلم وكان كلما تطور العلم تطورت معه طرق ومقاييس المفاهيم والقيم، وزالت الغشاوات من فوق العقول، بمعنى أن العلماء — عوضاً عن رجال الدين «رجال اللاهوت» أصبحوا هم الضياء المنير الذى يقود

البشرية ، ويعرفهم بالله ، أوكما قال الله فى محكم آياته : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (١) . وأثبت العلم والعلماء وجود الله . إلهاً خالقاً للكون كله. أزلياً سرمدياً قديماً، مستقلا عما خلق وعن التواريخ والحوادث التى وضعها الناس لأنفسهم وأنه شىء آخر مختلف عما يدور بعقل أى إنسان .

ومن كل ما سبق يتبين لنا مدى الخطأ الذى وقع فيه بعض المفسرين عندما فسروا الإنجيل تفسيراً حرفياً ، وعندما أعطوا قيمة كبيرة للأرض التى نعيش عليها ، ووصفوا عيسى بالألوهية : وهو ليس إلا واحداً من عباد الله الصالحين المختارين .

اكتشاف مخطوطات قديمة

اكتشفت حديثاً مخطوطات قديمة ،كانت محفوظة فى إحدى الحفر، يرجع تاريخها إلى ماقبل الميلاد ووجد أنها تحوى معلومات تصحح الفكرة السائدة عن ألوهية عيسى بن مريم .

ولقد كتب الباحثون عدة تقارير حول القيمة العظيمة لهذا الاكتشاف،وهى مخطوطات قديمة مخبأة فى أوانى فخارية طويلة، هى جزء من مكتوبات الإيسيين القدماء العظماء .

ولما أرسل الدكتور تريفور نسخة من هذه المخطوطات إلى الدكتور « و . ف . البرايت » ـ وهو عمدة فى علم آثار الإنجيل ـ رد عليه بقوله : « تهانى على اكتشاف أعظم مخطوط فى العصر الحديث فوق هضبة بجوار البحر الميت » ، وحدد تاريخ كتابته

---

(١) ٢٨ : فاطر .

بمائة عام قبل الميلاد ، وقال : « إنه لا يوجد أدنى شك فى العالم حول صحة هذا المخطوط ، وسوف تعمل هذه الأوراق ثورة فى فكرتنا عن المسيحية » .

ويرى كثير من الباحثين ورجال الدين وغيرهم — أن هذه المخطوطات القديمة التى تعطى صورة واضحة عن الكتب القديمة التى حرفتها الكنيسة أو كذبتها (والتى ذكرت فى الإنجيل) — وسوف تحدث ثورة فى تفكير كل من يبحث عن الحق بدلا من العقائد الصناعية أو الدين الذى وضعه الإمبراطور قنسطنطين والذى عقد مجمع نيقية فى سنة ٣٢٥م تحت رئاسته وفى هذا المجمع وضع نهاية لدين الناصرى المتواضع دين الوحدانية إلى دين التثليث.

والحقيقة التى لا ينبغى أن تغيب عن بالنا هى ما قررته هذه المخطوطات . « أن عيسى كان مسيا المسيحيين ، وأن هناك مسيا آخر ، وقد يكون المقصود بالمسيا الثانى هو نفسه عند عودته بالروح فى العصر المتأخر أو يكون المقصود بظهور النبى محمد، لأنه كان يتكلم للحق منصفاً روح عيسى ومدافعا عن العقيدة الأصلية التى جاء بها . « ومتى جاء المعزى « الباراقليط » فهو يشهد لى » (١)

ويقول القس (ا . باول ديفز) رئيس كنيسة كل القديسين فى واشنطن فى كتابه « مخطوطات البحر الميت » فى الصحيفة الأولى: (إن مخطوطات البحر الميت — وهى من أعظم الاكتشافات أهمية منذ قرون عديدة — قد تغير الفهم التقليدى للإنجيل).

---

(١) انجيل يوحنا ١٥ : ٢٦

ويقول القس « الدكتور تشارلس فرنسيس بوتو » فى كتابه « السنون المفقودة من عيسى تكشف » فى صحيفة ١٢٧ : (لدينا الآن وثائق كافية تدل على أن المخطوطات هى حقيقة « هبة الله إلى البشر » لأن فى كل ورقة تفتح تأتى إثباتات جديدة على أن عيسى كان كما قال عن نفسه : « ابن الإنسان » أكثر منه « ابن الله » كما ادعى عليه ذلك أتباعه وهو منه برىء) .

وقال فى صحيفة ١٢ : (من العسير العثور على كتاب فى العهد القديم لا يحتاج إلى تصحيحات تحت ضوء مخطوطات البحر الميت . وكذلك ليس هناك كتاب فى العهد الجديد لا يحتاج إلى تفسير شامل للآيات الأساسية التى تقوم عليها الشريعة) .

وقال فى صحيفة ١٥ : (لقد سمى عيسى نفسه « ابن الإنسان » لكنهم سموه « ابن الله » : الشخص الثانى من الثالوث ، الرب من الرب ، ولكن من المشكوك فيه أن يكون الإيسنيون أو عيسى نفسه قد وافقوا على هذا) .

إنجيل برنابا :

ترجم الأستاذ خليل سعادة إنجيل برنابا إلى اللغة العربية ، ونشرت دار المنار لصاحبها المرحوم رشيد رضا هذا الإنجيل وفى مقدمته كتبت هذه العبارة : (انجيل برنابا وجد باللغة الإيطالية فى مكتبة بلاط فينا . وترجم بعد ذلك إلى جميع اللغات ، هذا الإنجيل يعترف

صراحة بأن عيسى بشر مثل غيره من البشر . وينكر ألوهيته ، ويعترف بوحدانية الله ، وبأن محمداً عبد الله ورسوله . ويقال : إن البابا « جلاسيوس » قد حرم قراءة هذا الإنجيل سنة ٤٩٢ م .

يعلن الدكتور « تشارلس فرنسيس بوتر » فى كتابه « السنون المفقودة من عيسى تكشف » (أن إنجيلا يدعى إنجيل برنابا استبعدته الكنيسة فى عهدها الأول . والمخطوطات التى اكتشفت حديثاً فى منطقة البحر الميت جاءت مؤيدة لهذا الإنجيل) .

وتوالت بعد ذلك الاكتشافات التى لم يسمع عنها الجمهور لدينا كثيراً ، وهذا هو سر التعجب فالمصادر التى تذكر هذه الأمور — كلها أجنبية غريبة — قد ذكرت أن مخطوطاً آخر فى الفيوم وآخر فى مصر العليا ، وثالث فى طور سيناء فى سنة ١٩٥٨ م ، وأن هذا الأخير مكتوب باللغة الديموطيقية . وأنه كتب فى القرن الثالث بواسطة القديس مرقس الحوارى المعروف: يصف فيه تاريخ عيسى ويصحح نقطاً كثيرة مما جرى عليه العرف .

لقد استبعد إنجيل برنابا الذى يهدى إلى الحق، فيهدى إلى الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن عباراته : « فلما كان الناس قد دعونى الله ، وابن الله ، على أنى كنت بريئاً فى العالم — أراد الله أن يهزأ الناس بى فى هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أنى أنا الذى مت على الصليب لكيلا تهزأ الشياطين بى فى يوم الدينونة وسيبقى هذا إلى أن يأتى محمد رسول الله الذى متى جاء كشف هذا

الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله »(١) .

وقال أيضاً « لأن الله سيصعدنى من الأرض . وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إياى ومع ذلك فإنه لما يموت شر ميتة ، أمكث فى ذلك العار زمنا طويلا فى العالم ، ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عنى هذه الوصمة وسيفعل الله هذا لأنى اعترفت بحقيقة مسيا(٢) الذى سيعطينى هذا الجزاء أى أن أعرف أنى حى ، وأنى برىء من وصمة تلك الميتة » .

وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفند هذه الفرية بقول الله تعالى : (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم)(١) .

لقد استبعد إنجيل برنابا ، وبقيت كتابات بولس الذى ادعى لنفسه الرسولية . وبين برنابا وبين بولس مشادة يكشف القناع عنها برنابا فى قوله : « أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قدافتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمته العظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذى أمر به الله دائماً ، مجوزين أكل لحم نجس الذى ضل فى عدادهم بولس الذى لا أتكلم عنه إلا مع الأسى » « مقدمة الإنجيل » .

---

(١) انجيل برنابا الباب ٢٢٠

(٢) مسيا كلمة آرامية تعنى رسول (٣) ١٥٧و١٥٨ — النساء .

ويقرر العهد الجديد فى سفر الأعمال (١٥ : ٢٦ — ٤٠) هذا القرار « فحصل مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر وبرنابا أخذ مرقس وسافر فى البحر إلى قبرص ، وأما بولس فاختار سيلا وخرج مستودعاً من الإخوة » .

استبعد إنجيل برنابا وبقيت كتابات بولس الذى جاء بتعليم شديد الكفر بقوله . « كأس البركة التى نباركها أليست هى شركة دم المسيح . الخبز الذى نكسره أليس هو شركة جسد المسيح »(١) .

ويسترسل الحوارى يوحنا على هذا النمط فيقول : « جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق . من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه »(٢) ومن هنا نشأت إحدى الأسرار الكنيسية السبعة المعروفة بسر « الأفخارستيا » وفحواه : « أننا نؤمن أنه بعد تقديس سر الشكر ، واستدعاء حلول الروح القدس على القرابين — يستحيل الخبز والخمر استحالة سرية إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين حتى أن الخبز والخمر اللذين ننظرهما على المائدة ليسا خبزاً وخمراً بسيطين بل هما جسد الرب ذاته ودمه تحت شكلى الخبز والخمر » ... « ونؤمن أن ربنا يسوع المسيح حاضر فى هذه الخدمة لا بوجه الرمز أو الإشارة أو الصورة أو المجاز ولا بأنه مستتر فى الخبز بل هو حاضر حضوراً فعلياً » — والحمد لله الذى قال فى عزته

(١) ١ كو ١٠ : ١٦ (٢) يو ٦ : ٥٣ - ٥٦

وجلاله: (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون)(١) . هذا هو الله جل جلاله برىء مما نسب إليه من البنوة والتثليث. هذا هو الله الواحد الأحد (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (٢) ليؤكد للإنسانية أن الله غفور رحيم .

---

(١) ٥٣ و٥٤ الزمر

(٢) ٢٢ : التوبة

القرآن الكريم يهدى أهل الكتاب إلى الصراط المستقيم

١ — (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام)(١)

٢ — (لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها) حديث شريف.

٣ — المسيح عيسى بن مريم يتنبأ بتغيير القبلة .وبهدم هيكل سليمان .

(ا) حديث المسيح مع السامرية .

(ب) تنديد المسيح بالهيكل قبلة اليهود .

(ج) نبوة المسيح عن خراب بيت المقدس .

(د) تحقيق النبوة بسحق الدولة الفارسية الساسانية لفلسطين عامة ولبيت المقدس خاصة سنة ٦١٧ م .

٤ — إرادة الله لا بد أن تنفذ ولو كره المشركون (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)(٢)

إن سيدنا عيسى عليه السلام يتنبأ عن الرسول الكريم بقوله: « وأما متى جاء ذاك (روح الحق) فهو يرشدكم إلى جميع الحق ،

(١) ٤٤ : البقرة (٢) ٨ : الصف

لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية » (يو ١٦ : ١٢و١٣) .

ويدعم هذه النبوة بطرس خليفة المسيح على الأرض بقوله « فإن موسى قال للآباء إن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم،له تسمعون فى كل ما يكلمكم به » (أع ٣ : ٢٢)،«هذا هو الحجر الذى احتقرتموه أيها البناءون الذى صار رأس الزاوية» وليس بأحد غيره الخلاص» (أع ٤ : ١١) .

ويقول الله تعالى وهو خير القائلين : (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير . قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)(١) .

ويقول سبحانه : « وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »(٢) .

إن نقطة التحول فى تاريخ الرسالات السماوية هى : ١ـ فى اختيار الله للرسول الكريم،حفيد سيدنا إسماعيل عليه السلام،وهو شقيق سيدنا إسحاق عليه السلام وكلاهما ابنا سيدنا إبراهيم عليه السلام: (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم) (٣) .

٢ ـ وفى تحول الأراضى المقدسة من أرض فلسطين مهد الأنبياء إلى

(١) ١٥ : المائدة (٢) ٦٤ : النحل (٣) ١٢٨ البقرة

أرض الحجاز إلى مكة المكرمة أرض الرسول الكريم . فلنبدأ القصة من بدايتها حتى يتكشف لنا سر هذا التحول الخطير .

قال الله تعالى . (يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، وأنى فضلتكم على العالمين . واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ، ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) (١) .

وحذر سيدنا موسى عليه السلام بنى إسرائيل أن ينحرفوا عن طريق الله بقوله « إذا ولدتم أولاداً وأولاد أولاد ، وأطلتم الزمان فى الأرض ، وفسدتم ، وصنعتم تمثالا منحوتا صورة شىء ما ، وفعلتم الشر فى عينى الرب إلهكم لإغاظته — أشهد عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعاً من الأرض التى أنتم عابرون إليها لتمتلكوها . لا تطيلون الأيام عليها ، بل تهلكون لا محالة ، ويبددكم الرب فى الشعوب ، فتبقون عدداً قليلا بين الأمم يسوقكم الرب إليها » (سفر التثنية ٤ : ٢٥—٢٧) .

وفى سنة ٧٠١ ق . م . نفذ الله فيهم قضاءه ، فقال أشعياء نبى العهد القديم : «من منكم يسمع هذا يصغى ويسمع لما بعد، من دفع يعقوب إلى السلب ، وإسرائيل إلى الناهبين ؟ أليس الرب الذى اليه أخطأنا ؟ »(٢)(أشعياء ٤٢:٢٣ — ٢٥) . .

---

(١) ١٢٢و١٢٣ البقرة .

ثم يعود فيحاججهم بقوله : « ها أن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص ، ولم تثقل أذنه عن أن تسمع ، بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم، وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع »(١)

ويقول الله تعالى فى محكم آياته: (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين. فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون .

قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين) (٢).

لا ريب أن إرادة الله لا بد أن تتم مهما تجاهل الإنسان هذه الإرادة الأزلية السرمدية.

كما تنبأ عنهم أرميا نبي العهد القديم ـ عن تدمير بيت المقدس وعن تشتيت إسرائيل بقوله : ـ

« ويعبر أمم كثيرة فى هذه المدينة ، ويقولون الواحد لصاحبه لماذا فعل الرب مثل هذا لهذه المدينة العظيمة ؟ فيقولون من أجل أنهم تركوا عهد الرب إلههم ، وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها » . (أرمياء ٢٢ : ٨ و ٩) .

جاء المسيح عيسى بن مريم فماذا وجد ؟ لقد وجد : ـ

١ ـ الأحبار والهيكل : « ولما دخل الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه قائلا لهم : مكتوب أن بيتي بيت

(١) (أشعياء ٥٩ : ١ ـ ٤) (٢) ١١ ـ ١٤ . الأنبياء .

الصلاة . وأنتم جعلتموه مغارة لصوص» (١)

٢ — الأحبار والالتزام بالحلف : «ويل لكم أيها القادة العميان . القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم . أيها الجهال والعميان . أيهما أعظم الذهب أم الهيكل الذى يقدس الذهب ؟ ومن حلف بالمذبح فليس بشيء ولكن من حلف بالقربان الذى عليه يلتزم ، أيها الجهال والعميان أيهما أعظم القربان أم المذبح الذى يقدس القربان ؟ فإن من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه ، ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه . ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه(٢) .

٣ — الشعب والأحبار : «يقترب إلى هذا الشعب بفمه ، ويكرمنى بشفتيه . وأما قلبه فيبتعد عنى بعيداً وباطلا يعبدوننى ، وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس» (٣)

٤ — المسيح والأحبار : «لا تظنوا أنى أشكوكم إلى الله . يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى . لأنه هو كتب عنى . فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامى » (٤)

٥ — المسيح والتلاميذ «الحواريون» . «فأجابه بطرس : يارب

---

(١) (انجيل لوقا ١٩ : ٤٥ ، ٤٦) (٢) (انجيل متى ٢٣ : ١٦-٢٢)
(٣) (متى ٢٣ : ٨ ، ٩) (٤) (انجيل يوحناه : ٤٤ - ٤٧) .

إلى من نذهب وكلام الحياة الأبدية عندك؟ ونحن قد آمنا ،وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحى ، أجابهم يسوع : أليس أنى أنا اخترتكم الإثنى عشر وواحد منكم شيطان ».(١)

٦ — المسيح وإبليس : « وقال له إبليس : أعطيك هذه كلها إن خررت وسجدت لى . حينئذ قال له يسوع . اذهب ياشيطان، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد . ثم تركه إبليس» (٢).

٧ — المسيح والدينونة « التهمة التى أقاموها ضده » . « أنه جعل نفسه ابن الله » (يوحنا١٩: ٧) .

ويفند القرآن الكريم هذه الشبهة . ويدفعها عن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام بقوله تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)(٣) ،وقوله تعالى: (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال: من أنصارى إلى الله قال؟الحواريون : نحن أنصار الله ، آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون)(٤) .

وكان موقف سيدنا عيسى عليه السلام إزاء هذا الانحراف الدينى المريع موقفا إيجابياً إذ حين تقدم اليه تلاميذه لكى يروه أبنية الهيكل

---

(١) (إنجيل يوحنا ٦ : ٦٨ — ٧٠) (٢) (متى ٤ : ٩ — ١١)
(٣) ٣١ :التوبة (٤) ٥٢ : آل عمران

قال لهم يسوع : « أما تنظرون جميع هذه ؟ الحق أقول لكم أنه لا يترك ها هنا حجر على حجر لا ينقض » (١) .

وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة (بيت المقدس) وبكى عليها قائلا: إنك لو علمت أنت أيضاً حتى فى يومك هذا ماهو اسلامك ولكن الآن قد أخفى عن عينيك، فإنه ستأتى أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ، ويحدقون بك ، ويحاصرونك من كل جهة ، ويهدمونك وبنيك فيك.ولا يتركون فيك حجراً على حجر لأنك لم تعرف زمان افتقادك»(٢) .

ولقد صب عليها لعنة الله بقوله : « يا أورشليم ، يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء ، وراجمة المرسلين، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة أفراخها تحت جناحيها ولم تريدوا.هوذا بيتكم يترك لكم خرابا » (٣) .

هذه هي القصة من بدايتها إلى نهايتها،لقد غضب الله على إسرائيل وتحول قلبه عن بيت المقدس ، فكيف يتم هذا ووعد الله لسيدنا إبراهيم «ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » (تكوين٢٢:١٨)
ويوضح الله الأمر فى قوله تعالى : (قال إنى جاعلك للناس إماماً . قال ومن ذريتى . قال لا ينال عهدى الظالمين)(٤)
وهنا يأتى دور نبوة المسيح عليه السلام عن الرسول المصطفى: «قال لهم

---

(١) (متى ٢٤ : ١ و ٢) (٢) (لوقا ١٩ : ٤١ — ٤٤)
(٣) (إنجيل متى ٢٣ · ٣٧ — ٣٨) (٤) ١٢٤ : البقرة

يسوع: أما قرأتم قط فى الكتب. الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا . وهو عجيب فى أعيننا لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل أثماره » (١).

وهنا أيضا يأتى دور تعزية الملاك للسيدة هاجر عند ما هربت من نير الاستعباد تحت إذلال سارة زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام . « لأنى سأجعله أمة عظيمة » (٢).

وهنا أيضاً يأتى دور تعزية الله لسيدنا إبراهيم عليه السلام عند ما رأى ابنه البكر إسماعيل مطروداً أمام عينيه من وجه عبودية السيدة سارة : « وابن الجارية أيضا ، سأجعله أمة ، لأنه نسلك » (٣) .

ويؤكد الله هذه الأمور بقوله تعالى : (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) (٤)

أيها القارىء العزيز : هذه الحوادث لم تكن عفو الخاطر ، بل كانت فى علم الله سبحانه وتعالى ، وهى التى رآها سيدنا موسى عليه السلام ، إذ أراه الله من ثم رسوله على ذراعى إسماعيل ، وإسماعيل على ذراعى إبراهيم ، ووقف على مقربة من إسماعيل إسحاق وكان على ذراعيه طفل هو المسيح عيسى ابن مريم يشير بإصبعه إلى

(١) (متى ٢١ : ٤٢ ، ٤٣) (٢) (تكوين ٢١ : ١٨)
(٣) (تكوين ٢١ : ١٣) (٤) ٢٥ : البقرة

رسول الله قائلا : « هذا هو الذى لأجله خلق الله كل شيء » فصرخ موسى من ثم بفرح : يا إسماعيل ، إن على ذراعيك العالم كله والجنة أذكرني أنا عبد الله لأجد نعمة فى نظر الله بسبب ابنك الذى لأجله صنع الله كل شيء » (برنابا : ١٩١ : ٦ — ١٠)

والآن لنتبع المنهاج المرسوم :

١ — يقول الله تعالى : (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم)(١)

يا أهل الكتاب ، كفاكم دورانا حول هذا الجبل ، واتجهوا إلى الصراط المستقيم ، أما جاءت تلك المرأة السامرية وأخذت تحاور المسيح عيسى بن مريم حتى قالت له : « آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل ، وأنتم تقولون . إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه . قال لها يسوع . يا إمرأة صدقينى أنه تأتى ساعة — لا فى هذا الجبل ، ولا فى أورشليم تسجدون لله . . الله روح . والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (إنجيل يوحنا ٤ : ٢٠ — ٢٤) ويقول الله تعالى فى كتابه الكريم (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) .

ويقول برنابا مشيراً إلى ركن من أركان الإسلام وهو الحج « سيأتى مسيا(٢) المرسل من الله لكل العالم »(٣) « الذى خلق الله العالم

---

(١) ١٤٢ : البقرة (٢) مسيا : كلمة آرامية معناها الرسول

(٣) المسيح رسول الله لبنى إسرائيل فقط كما أقر بقوله « لم أرسل إلا إلى خراف إسرائيل الضالة » (متى ١٥ : ٢٤)

لأجله ، وحينئذ يسجد لله فى كل العالم(١) وتنال الرحمة ، حتى أن سنة اليوبيل التى تجىء الآن كل مائة سنة سيجعلها مسيا كل سنة من كل مكان(٢) (برنابا ٨٢ : ١٦ - ١٨) .

وفى الركن الخامس يقول الله تعالى : (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)(٣) .

وفى تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة قال البراء بن معرور : « يانبى الله ، أنى خرجت من سفرى هذا ، وهدانى الله للإسلام ، فرأيت ألا أجعل هذه البنية منى بظهر فصليت إليها . وقد خالفنى أصحابى فى ذلك حتى وقع فى نفسى من ذلك شىء فماذا ترى يا رسول الله ؟ قال : « لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها » .

وقال تعالى لسيدنا إبراهيم وابنه سيدنا إسماعيل عليهما السلام (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى . وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود)(٤) .

---

(١) دور المساجد فى العالم لآداء الركن الأول من أركان الإسلام ألا وهو الصلاة .

(٢) فى هـــذا إشارة إلى الركن الخاص من أركان الإسلام ألا وهو حج البيت .

(٣) ٢٧ : الحج (٤) ١٢٥ : البقرة

لقد كان على الرسول تطهير البيت لما كفين، فإن الوصية كانت لجده هي هي الوصية له، وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بواجبه في هذه الناحية بمجرد فتحه مكة ودخوله بيت الله الحرام . قال ابن مسعود رضى الله عنه : (دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح ، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود فى يده، ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا ، جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيـــد » (أخرجه البخارى جـ ٥ ص ١٤٥) .

وهذا الأمر ليس بغريب على أهل الكتاب، فهم كما قال الله عنهم (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)، ولهذا قال تعالى لرسوله الكريم عند تحويل القبلة — (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون)(١)

هذه هى الحقائق الإلهية الثمينة .

الحقيقة الأولى: انتزاع النبوة من بنى إسرائيل : من بنى إسحاق ابن إبراهيم ، إلى محمد رسول الله : من بنى قريش ، من بنى كنانة

---

(١) ١٤٤ : البقرة . واقرأ الآيتين التاليتين

من بنى إسماعيل ابن ابراهيم عليه السلام .

وهؤلاء أسماء بنى إسماعيل حسب مواليدهم : نبايوت ، بكر إسماعيل ، وقيدار . (ولعل قيدار هو المقصود بكنانة) . . (إثنا عشر رئيساً حسب قبائلهم) ، (تكوين ٢٥ : ١٢ — ١٦) .

وليت الأمر يقف عند هذا الحد ، بل إن كون رسول الله المصطفى من نسل إسماعيل عليه السلام ، وأن مركز إسماعيل بين الإسرائيليين صرحت كما صرحت به السيدة سارة : (اطرد هذه الجارية وابنها ، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحاق ، (تكوين ٢١ : ١٠) .

هذا هو الحجر الذى رفضه البناءون هو بقدرة الله قد أصبح رأس الزاوية .

الحقيقة الثانية : تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة المكرمة .

هذا الأمر عجيب جداً . لأن الله قدّر فنفذ لا رادّ لتقديره ولا لمشيئته .

بقى علينا أمر . وهو موقف التاريخ من هذه الحوادث .

١ — لقد ندد المسيح عيسى بن مريم بالهيكل ، وهو قبلة إسرائيل .

٢ — لقد تنبأ بخراب بيت المقدس (أورشليم) .

والتاريخ السياسى يؤكد ويؤيد ما جاء من كلام الله تعالى فى التوراة أو الإنجيل أو القرآن ، إذ تعرضت فلسطين للاستعمار

الأجنبي الذى داس الهيكل ، ودنس كل مقدساته فى هذه الفترات. من عهد المسيح إلى مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم .

والحقب التى مرت بها فلسطين هى :

١ — كانت فلسطين ولاية رومانية من سنة ٥٣م إلى سنة ٦١٤م

٢ — ثم أصبحت ولاية فارسية من سنة ٦١٤ م إلى سنة ٦٢٦م تتبع الدولة الفارسية الساسانية

٣ — ثم عادت ولاية رومانية فى عهد الإمبراطور هرقل سنة ٦٢٦م إلى سنة ٦٣٧م

٤ — ثم حررها الإسلام من سنة ٦٣٧ م ، وحمى مقدساتها ورعى أهل الكتاب بالحق والأمانة.

الرسول الكريم وإيمانه بشخص المسيح عليه السلام

آمن الرسول الكريم بالمسيح عيسى بن مريم الذى تنبأ قائلا (ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء (يوحنا ٣:١٣)،

وعمن يقول هذا القول .

هل يقوله عن أخنوخ فالتوراة تقرر: « وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه » (تكوين ٥ : ٢٤) .

أم يقوله عن إيليا فالأنبياء تقرر : « وفيما هما يســـيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما ، فصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء » (سفر الملوك الثانى ٢:١١)

فالأول — وهو أخنوخ — لعله سيدنا الخضر ، صعد إلى السماء وما زال فيها .

والثانى — وهو إيليا — لعله سيدنا إلياس ، صعد إلى السماء وما زال فيها .

وإذا اعتبرنا الأمر للمسيح عليه السلام فإن الله رفعه إليه ولم ينزل بعد من السماء ، فمن هذا المسيا « الرسول » إذن ؟

أنه محمد صلى الله عليه وسلم عند ما أسرى الله به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء، ورأى ما رأى ،

(ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى)(١).

وهذه نبوة أخرى من سيدنا عيسى عليه السلام للرسول الكريم بصعوده إلى السماء ونزوله منها .

أما عن الرحلة النبوية فالرسالات السماوية تؤمن بها ، وقد سبق إليها أخنوخ ، وإيليا ، والمسيح .

وما سبق به القرآن الكريم من الإعجاز فى هذه الرحلة أيده العلم الحديث فى رحلة جاجارين إلى القمر . ورحلة تيتوف حول الأرض ، وإذا كان الإنسان استطاع إلى ذلك سبيلا — فالإنسان من خلق الله ، والله يعطى بعض علمه لمن يشاء من خلقه ويقول : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) ، ويؤكد أن الإنسان مهما بلغ من العلم لا يستطيع أن يصل إلى الأسرار الإلهية إلا بقدر : (ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء) .

لقد آمن الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالأنبياء قبله وبعيسى ، وبموسى ، ولم يفرق بين أحد من رسل الله ، وهذا هو الإيمان الخالص ، والدين الصافى ، والحياة الربانية الكريمة .

---

(١) ١١ — ١٨ : النجم

وكيف يؤمن الرسول بسيدنا عيسى عليه السلام ؟

وللإجابة على هذا السؤال ينبغى أن نعرف ما معنى كلمة « مسيح » ؟ وكيف نشأت ؟ وهل هى مقصورة على سيدنا عيسى عليه السلام ؟

فى الفترة من ١١٠٠ ق.م إلى ١٠١١ ق . م . — تاقت نفس إسرائيل لأن يكون دولة كالدول التى بجواره ، وأراد له ملكا وملكة وفى هذا قال الله تعالى : (وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت(١) ملكا . قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال . قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم ، والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم(٢) .

والقصة كما وردت فى التوراة هكذا : « فأخذ صموئيل قنينة الدهن ، وصب على رأسه وقبله وقال: أليس لأن الرب قدمسحك على ميراثه رئيساً » ، (صموئيل أول ١٠ : ١) .

ومن هنا نشأت فكرة المسيح ، وهى رمز إلى تتويج الملك ، ورمز إلى حلول الروح القدس على الملك بمجرد مسحه بالدهن،أما المسيح فسمى كذلك لأنه منذ ولادته حل عليه الروح القدس ، « وقال لها . الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظللك » ، (إنجيل لوقا ١ : ٣٥) .

(١) المقصود بطالوت شاول بن قيس من بنيامين (٢) ٢٤٧ : البقرة

ويقول الله تعالى : (والتى أحصنت فرجها فنفختنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين)(١).

يقول سبحانه : (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون. ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون(٢).

ولا عجب أن الإنجيل يؤكد للإنسان الذى يبحث عن الحق ويتحرى الصدق . لا عجب أنه يدعم إنسانية عيسى عليه السلام ، ويؤكد رسوليته ونبوته،وكلمة إنجيل وهى كلمة يونانية تعنى بشارة أو بشرى ، ولعل هذا هو الذى نستفيده من سيرة سيدنا عيسى عليه السلام : إنه كان بشرى من الله للرحمة ، وبشرى بتبشيره عن المسيا الذى سيأتى للعالمين هدى ورحمة،ألا وهو الرسول الكريم. سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

شهادة الإنجيل

والأناجيل تؤكد شخصية المسيح عيسى بما يتفق وإيمان المسلم

١ — المسيح عيسى ابن مريم يخضع لناموس الغرائز الإنسانية :

« جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب ، فتقولون هوذا إنسان أكول وشريب خمر ، محب للعشارين والخطاة ، والحكمة تبررت من بنيها » (إنجيل متى ١١ : ١٩ ، وإنجيل لوقا ٧ : ٣٤ ، ٣٥) .

« ثم أصعد يسوع إلا البرية من الروح ليجرب من إبليس ، فبعد

(١) ٩١ : الأنبياء (٢) ٣٤و٣٥ : مريم

ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيرا، فتقدم إليه المجرب وقال له : إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً » ، (متى ٤ : ١و٣).

وفى هذا تطابق لقوله تعالى : (ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام . انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون(١).

ويقول سبحانه : (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق) (٢) .

٢ — المسيح عيسى بن مريم يخضع لناموس الراحة والتعب :

« وفى أحد الأيام دخل سفينة هو وتلاميذه ، فقال لهم: لنعبر إلى عبر البحيرة ، فأقلعوا . وفيما هم يسيرون نام ، فنزل نوء ريح فى البحيرة وكادوا يمتلئون ماء ، وصاروا فى خطر ، فتقدموا إليه وأيقظوه قائلين : يامعلم ، يا معلم ، إننا نهلك ، فقام وانتهر الريح، وتموج الماء ، فانتهيا وصار هدوء » . (لوقا ٨ : ٢٢—٢٤) .

ويؤكد هذه القصة مرقس فى إنجيله فى الباب ٤: ٣٥— ٤٠ بما نصه:

« وقال لهم فى ذلك اليوم لما كان المساء : لنجتز إلى العبر ، فصرفوا الجمع وأخذوه كما كان فى السفينه ، وكانت معه أيضاً سفن أخرى صغيرة ، فحدث نوء ريح عظيمة ، فكانت الأمواج تضرب السفينة حتى صارت تمتلىء ، وكان هو فى المؤخرة على وسادة نائماً،

---

(١) ٧٥ : المائدة (٢) ٢٠ : الفرقان

فأيقظوه وقالوا : يا معلم ، أما يهمك أننا نهلك ؟ فقام وانتهر الريح ، وقال للبحر اسكت أبكم ، فسكنت الريح ، وصار هدوء عظيم) .

ويدعم هذه القصة أيضاً متى فى إنجيله فى الباب ٨ : ٢٣ — ٢٧ بما نصه .

« ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه ، وإذا اضطراب عظيم قد حدث فى البحر حتى غطت الأمواج السفينة ، وكان هو نائماً ، فتقدم إليه تلاميذه وأيقظوه قائلين : يا سيد ، نجنا ، فإننا نهلك . فقال لهم : ما بالكم خائفين يا قليلى الإيمان ؟ ثم قام وانتهر الرياح والبحر ، فصار هدوء عظيم ، فتعجب الناس قائلين : أى إنسان هذا ؟ فإن الرياح والبحر جميعاً تطيعه » .

هذه إقرارات مؤكدة ، ومن عجب أن الحواريين وضعوا شبهات من نسيج خيالهم ، فهذا هو بطرس خليفة المسيح يقول : « أنت هو المسيح ابن الله الحى » ، (متى ١٦ : ١٦) فكيف يتفق هذا وهو الإنسان الذى كان نائماً فأيقظوه كما تقرره القصص الثلاث ؟

وقبل أن ندفع هذه الشبهة عنه من القرآن الكريم نبحث عن دفع من التوراة ، وقد جاء فى سفر الملوك الأول فى الباب الثامن عشر من بدء العدد ١٧ إلى نهاية العدد ٤٠ ، والقصة حوار بين إيليا نبي الله وبين أنبياء البعل ، وفى هذا الحوار يتحدى إيليا البعل

إله البابليين ، ويسخر منه ، ويقول لهم فى سخرية لاذعة : (ادعوا بصوت عال ، لأنه إله لعله مستغرق ، أو فى خلوة . أو فى سفر ، أو لعله نائم فينتبه . (١مل ١٨ : ٢٧) وفى عهد موسى إذ ضرب البحر بعصاه فانفلق أهذه كانت قدرة بشرية أم قدرة إلهية ؟

ويحسم القرآن الكريم الأمر فى قوله تعالى : « لا تأخذه سنة ولا نوم »(١) .

٣ — المسيح عيسى بن مريم يخضع لناموس المؤثرات العاطفية :

« وإذا كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة . وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض ، ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه ، فوجدهم نياما من الحزن ، فقال لهم : لماذا أنتم نيام ؟ قوموا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة ، وبينما هو يتكلم إذا جمع ، والذى يدعى يهوذا أحد الإثنى عشر يتقدمهم ؛ فدنا من يسوع ليقبله ، فقال له يسوع : يا يهوذا ، أبقبلة تسلم ابن الإنسان ؟ » ، (لوقا ٢٢ : ٤٤ — ٤٨) .

« وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة وبكى عليها قائلا : إنك لو علمت أنت أيضاً حتى فى يومك هذا ما هو لسلامك ، ولكن قد أخفى عن عينيك ، فإنه ستأتى أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة .

---

(١) ٢٢٥ : البقرة

ويحدقون بك ، ويحاصرونك ، من كل جهة ، ويهدمونك وبنيك فيك ، ولا يتركون فيك حجراً على حجر ، لأنك لم تعرفي زمان افتقادك » ، (لو ١٩ : ٤١—٤٤) .

هذا هو المسيح الإنسان ، عاش في إطار الحزن والأسى ، فتألم ، وبكى ، وحزن ، وهذه كلها انفعالات بشرية .

ويأتى الرسول الكريم على نمط آخر يختلف عن المسيح عيسى ابن مريم بينه الله تعالى بقوله : (محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار ورحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً . يبتغون فضلا من الله ورضواناً)[١] .

٤ — المسيح عيسى بن مريم يلتزم مكانته فلا يتعداها :

(ا) أرادوه ملكا ، فانصرف عنهم : « وأما يسوع فإذا علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا انصرف إلى الجبل وحده » ، (إنجيل يوحنا ٦ : ١٥) .

(ب) رئيس الكهنة يستجوبه . وواحد من الخدام يلطمه على وجهه: «فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه أجابه يسوع: أنا كلمت العالم علانية ، أنا علمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما ، وفى الخفاء لم أتكلم بشيء ، لماذا تسألنى أنا ؟ اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم ، هوذا هؤلاء يعرفون ماذا

---

(٢) ٢٩ الفتح

قلت أنا. ولما قال هذا لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفاً قائلا: أهكذا تجاوب رئيس الكهنة؟ أجابه يسوع: إن كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردى وإن حسنا فلماذا تضربنى؟ وكان حنّان قد أرسله موثقاً إلى قيافا رئيس الكهنة » ، (يوحنا ١٨ :١٩ — ٢٤)

(ج) ولقد حاوره الفريسيون بمكر ليصطادوه بكلمة فقالوا: « يا معلم ، نعلم أنك صادق ، وتعلم طريق الله بالحق ، ولا تبالى بأحد ، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس، فقل لنا : ماذا تظن أيجوز أن نعطى جزية لقيصر أم لا ؟ فعلم يسوع خبثهم ، وقال: لماذا تجربونى يا مراءون ؟ أرونى معاملة الجزية . فقدموا له ديناراً. فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة ؟ فقالوا له : لقيصر ، فقال لهم : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» (متى٢٢:١٥—٢١).

٥ — المسيح عيسى بن مريم جاء غريباً وعاد غريباً :

لقد تنبأ عن نفسه بالآلام ، فتصدى له بطرس رياء يستبعد عنه ما هو محتوم أن يكون «من ذلك الوقت ابتدأ يظهر لتلاميذه أنه ينبغى أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ، فأخذه بطرس إليه، وابتدأ ينتهره قائلا: حاشاك يارب ، لا يكون لك هذا . فالتفت وقال لبطرس : اذهب عنى يا شيطان ، أنت معثرة لى ، لأنك لا تهتم بالله ، لكن بما للناس » (متى ١٦ : ٢١ — ٢٣) .

وبطرس هذا قد أنكر سيده ساعة المحاكمة : « قال واحد من

عبيد رئيس الكهنة. أما رأيتك أنا معه فى البستان ؟ فأنكر بطرس أيضا، (يوحنا ١٨ : ٢٦ ، ٢٧) .

هذا هو خليفة المسيح ، تنكر لسيده ساعة المحنة .

وأراد الذين رأوا الخير على يديه أن يتبعوه أينما يمضى ، فقال لهم : « للثعالب أوجرة ، ولطيور السماء أوكار ، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه » (متى ٨ : ١٨ — ٢٠) .

وختام الأمر كله قوله تعالى : (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ، آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون)[١] .

٦ — المسيح عيسى بن مريم رسول الله :

أراد اليهود أن يقتلوا المسيح رسول الله ، فقال لهم : «لو كنتم أولاد إبراهيم الكنتم تعملون أعمال إبراهيم، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله ، هذا لم يعمله إبراهيم » (إنجيل يوحنا ٨ : ٣٩ و ٤٠) .

ويضرع إلى الله فى صلواته فيقول : «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته » ، (يوحنا ١٧ : ٣) .

ويحدد اختصاص رسالته فيقول: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض

---

(١) ٥٢ : آل عمران .

الناموس أو الأنبياء ، ماجئت لأنقض بل لأكمل » (متى ٥: ١٧).

ويبن للقوم الذين جاء لأجلهم فيقول . « ينبغى لى أن أبشر المدن الأخرى أيضا بملكوت الله ، لأنى لهذا قد أرسلت ،فكان يكرز فى مجامع الجليل » ، (لوقا ٤ : ٤٣ و ٤٤).

ويقول الله العزيز الحكيم فى كتابه الكريم (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس)(١) .

٧ — المسيح عيسى بن مريم نبي الله :

أقر فى حزن دفين ألا مكانة له فى وطنه مهما يرفعه الله من درجات ، وقد سجل هذا متى أحد الحواريين فى إنجيله (الباب ١٣ : ٥٤ — ٥٨) ، وهذا نصه للاستفادة من مناحيه المتعددة : « ولما جاء إلى وطنه كان يعلمهم فى مجمعهم حتى بهتوا وقالوا : من أين لهذا هذه الحكمة والقوات؟ أليس هذا ابن النجار؟ أليست أمه تدعى مريم ، وأخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ؟ أو ليست أخواته جميعهن عندنا ؟ فمن أين لهذا هذه كلها ؟ فكانوا يعثرون به . وأما يسوع فقال لهم : ليس نبي بلا كرامة إلا فى وطنه وفى بيته ، ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم » .

ويقول الله عز وجل : (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة

(١) ٢٥٣ : البقرة

والإنجيل ، ورسولا إلى بنى إسرائيل . . . الآيات)(١) .

وكان الشعب ينظر إليه كنبي : « وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع ، لأنه كان عندهم مثل نبي » ، (إنجيل متى ٢١ : ٤٦) .

وقالت عنه المرأة السامرية . « أرى أنك نبي » ، (إنجيل يوحنا ٤ : ١٩) .

٨ — المسيح عيسى بن مريم رفيع الدرجة عند الله والناس .

لقد ندد المسيح بالكهنة والكتبة والفريسيين والصدوقيين والناموسيين ، ولما دخل الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه « قائلا لهم مكتوب أن بيتى بيت الصلاة ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » هذا هو المسيح ، يتهم الجنس البشرى على اختلاف طبقاته بالإثم والمعصية والخطيئة ، ويتحداه بقوله ، « من منكم يبكتنى على خطية ، فإن كنت أقول الحق فلماذا لستم تؤمنون » (يوحنا ٨: ٤٦) .

ويؤيد الله هذه الدرجة فى قوله : (إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين »(٢)

٩ — المسيح عيسى بن مريم مؤيد بالروح القدس :

بين الأنبياء الذين أرسلهم الله لهداية الناس إلى الوحدانية ثلاثة

(١) ٤٨ — ٥١ : آل عمران (٢) ٤٥ آل عمران.

يعتبرون أئمة الأنبياء ، هؤلاء جاءوا بالحق يبشرون وينادون بالوحدانية، ويتشابه هؤلاء في إعجاز مولدهم، ونشأتهم، وتعلق البشر بهم.

لقد ولد في مصر نبي من بني إسرائيل هو موسى عليه السلام، وكانت مصر في ذلك الزمان أرض السحرة وكان الله ناصراً ومؤيداً لنبيه بالمعجزات التي سحقت أعمال السحر، وكانت سبباً في إيمان امرأة فرعون بالله الواحد القهار .

وفي فلسطين ولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وفلسطين عاصرت عهدين عهد الدولة الإغريقية التي اشتهرت بالحكمة والطب، وعهد الدولة الرومانية التي اشتهرت بالبطش والسطوة ، فكان لا بد أن تكون تأييدات الله من نوع يستطيع به رسوله ونبيه أن يفحمهم علماً وطباً .

وفي الجزيرة العربية ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعرب يمتازون بفصاحة القول وبلاغته. فكان تأييد الله لرسوله الكريم بالقرآن الكريم .

وكأن الله تعالى شاء أن الأرض التي وطئتها أقدام الرسل والأنبياء مثلثة ، زاويتها الأولى مصر ، وزاويتها الثانية فلسطين، وزاويتها الثالثة الجزيرة العربية .

جاء سيدنا عيسى عليه السلام مؤيدا بالروح القدس ، فجرت

على يديه معجزات شفاء المرضى ، وإبراء الأبرص ، وإحياء الموتى كل هذا وأكثر منه بإذن الله : « قال يسوع : ارفعوا الحجر . قالت له مرثا أخت الميت : يا سيد ، قد أنتن، لأن له أربعة أيام. قال لها يسوع : ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله ؟ فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ، ورفع يسوع عينيه إلى السماء وقال : يا الله ، أشكرك . لأنك سمعت لى ، وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى . ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ، ليؤمنوا أنك أرسلتنى . ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر : هلم خارجا ، فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ، ووجهه ملفوف بمنديل فقال لهم يسوع : حلّوه ، ودعوه يذهب » ، (إنجيل يوحنا ١١ : ٣٩ — ٤٤) .

ويفترى المسيحيون فى إدعائهم أن المسيح لم يكن مؤيداً بالروح القدس فحسب ، بل هو ذاته الله فى جسد إنسان ، وبهذا الادعاء، وذاك الافتراء باءوا بغضب ولعنة من الله .

وإذا افترضنا جدلا صحة هذا الزعم فهل نعد هؤلاء الذين أقاموا موتى آلهة ؟ وهؤلاء هم :

١ — إيليا عند ما طلب من الله : « يارب إلهى ، لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه ، فسمع الرب لصوت إيليا ، فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش»،(١مل ١٧:٢١و٢٢).

٢ —أليشع تلميذ إيليا عند ما أقام ميتاً (ودخل أليشع البيت

وإذا بالصبي ميت ومضطجع على سريره ، فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما ، وصلى إلى الرب ، فعطس الصبي سبع مرات ، ثم فتح الصبي عينيه » . (٢ مل ٤ : ٣٢و٣٣و٣٥) .

٣ — بطرس أحد الحواريين أقام ميتة : « فأخرج بطرس الجميع خارجاً ، وجثا على ركبتيه وصلى ، ثم التفت إلى الجسد وقال: ياطابيثا(١) ، قومى ، ففتحت عينيها ، ولما أبصرت بطرس جلست فناولها يده وأقامها ، ثم نادى القديسين والأرامل ، وأحضرها حية » (أع ٩ : ٤٠و٤١) .

٤ — بولس المدعو رسولا ، أقام ميتاً : « وكان شاب اسمه أفتيخوس جالساً فى الطاقة متثقلا بنوم عميق ، وإذ كان بولس يخاطب خطابا طويلا غلب عليه النوم ، فسقط من الطبقة الثالثة إلى أسفل ، وحمل ميتا ، فنزل بولس ، ووقع عليه ، واعتنقه قائلا : لا تضطربوا ، لأن نفسه فيه . . وأتوا بالفتى حياً ، وتعزوا تعزية » (أع ٢٠ : ٩—١٢) .

هل هؤلاء آلهة ؟ حاشا ، لا هؤلاء ، ولا المسيح عيسى بن مريم آلهة ، بل كلهم بشر ، ويدحض الله القدير هذه الشبهة بقوله تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)(٢)

---

(١) طابيثا — كلمة أرامية معناها صبية (٢) ٣١ : التوبة

ويوضح الله حقيقة الأمر بقوله تعالى : (ورسولا إلى بنى إسرائيل ... الآية)(١)

وقوله تعالى : (إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك ... الآية)(٢).

وقد بين الحقيقة فى قوله : (ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على العالمين . وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم. إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون . إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين . هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون)(٣)

مقارنة بين تعاليم المسيح وتعاليم بولس

لقد كان المسيح عليه السلام رسول الله . جاء ليحقق إرادة الله وينادى بما نادى به الرسول الكريم (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عندالله أتقاكم) (٤)

---

(١) ٤٩ : آل عمران (٢) ١١٠ : المائدة
(٣) ١٦ — ٢٠ : الجاثية (٤) ١٣ : الحجرات.

ونطق بذلك خليفة المسيح بطرس إذ قال : « بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه ، بل فى كل أمة الذى يتقيه ويصنع البر مقبول عنده » ، (سفر أعمال الرسل ١٠ : ٣٤) .

لقد جاء المسيح بطريقته الخاصة التى ميزت تعاليمه الباهرة ومباحثه الدينية بطابع السمو والبساطة حتى يفهمها لأول وهلة — الزارع ، والصانع ، والمثقف ، والأمى ، والرجل ، والمرأة — دون أدنى إجهاد للذهن ، وها هوذا يبسط تعليمه لهذه الحقيقة التى قالها الله تعالى (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) ، فيورد قصة مشهورة ، هى قصة السامرى الصالح (إنجيل لوقا ١٠ : ٢٥ — ٣٧) ، وتتلخص هذه القصة فى استفسار من ناموسى ، وهو الذى يسير وفق تعاليم التوراة تماما ، فيسأل : كيف يرث الحياة الأبدية؟ فيرد عليه المسيح عيسى بن مريم بقوله: إن الدين هو حياة وقوة ، وليس مجرد تعاليم تحفظ . الدين هو أن يعيش المرء فى إطار أحكام الشرع لا يتعدى أوامر الله ولا يقترف نواهيه . ونطق المسيح برده المشهور عقب إيراد القصة . وتتلخص فى : —

١ — كاهن يمر بالجريح الذى سطا عليه اللصوص من قطاع الطريق فيعبر الكاهن دون أن يقدم مساعدة .

٢ — لاوى يمر كذلك دون أن يقدم أى مساعدة ، وهذان من رجال الدين ، وعبورهما دون تقديم أى خدمة ينفى قوة الدين فيهما .

٣ — سامرى (وبين السامريين والإسرائيليين عداوة قديمة وقطيعة فى كل شأن من شئون حياتهم) .

هذا السامرى لم يكن فى امتياز اليهود من ناحية الوحدانية ، ومن ناحية أنهم شعب الله المختار ، ومع هذا قدّم إسعافات طبية ، ومعونة مالية ، وأخذه إلى أقرب فندق للعناية به . وهنا يشير المسيح عيسى بن مريم إلى أن الغاية العظمى من الدين — هى كمحبة الله — ينبغى أن تكون محبة القريب، ومن هذا القريب ؟ إنه ذلك الغريب الذى وقع بين قطاع الطريق .

وها هى ذات القصة،نوردها بنصها:«وإذا ناموسى قام ليجربه قائلا: يا معلم،ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟فقال له:ماهو مكتوب فى الناموس ، كيف تقرأ ؟ فأجاب وقال تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك . ومن كل قدرتك ، ومن كل فكرك ، وقريبك مثل نفسك. فقال له : بالصواب أجبت . افعل هذافتحيا.

وأما هو فاذ أراد أن يبرر نفسه قال ليسوع : ومن هو قريبى؟

فأجاب يسوع وقال : إنسان كان نازلا من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص ، فعروه وجرحوه ، ومضوا وتركوه بين حى وميت ، فعرض أن كاهنا نزل فى تلك الطريق فرآه وجاز مقابله ، وكذلك لاوى أيضاً إذ صار عند المكان جاء ونظر وجاز مقابله . ولكن سامرياً مسافراً جاء إليه ، ولما رآه تحنن ، وتقدم وضمد جراحاته ، وصب عليها زيتاً وخمراً ، وأركبه على دابته . وأتى به

إلى فندق ، واعتنى به ، وفى الغد لما مضى أخرج دينارين ، وأعطاهما لصاحب الفندق ، وقال له : اعتن به ، ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعى أوفيك . فأى الثلاثة ترى صار قريبا للذى وقع بين اللصوص؟ فقال : الذى صنع الرحمة . فقال له يسوع : اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا » (إنجيل لوقا ١٠ : ٢٥ — ٣٧) .

هذا هو أسلوب المسيح :

أما أسلوب بولس المدعو رسولا فهكذا «فإنى إذ كنت حراً من الجميع إستعبدت نفسى للجميع، لأربح الأكثرين ، فصرت لليهودى كيهودى ، لأربح اليهود ، وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس، لأربح الذين تحت الناموس والذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس، مع أنى لست بلا ناموس لله ، بل تحت ناموس للمسيح ، لأربح الذين بلا ناموس ، صرت للضعفاء كضعيف ، لأربح الضعفاء ، صرت للكل كل شىء . لأخلص على كل حال قوماً) ، (١ كو ٩ : ١٩ — ٢٢) .

لعلك أيها القارىء تلمس فى هذا الأسلوب عمق بولس فى المسائل الفلسفية والمباحث العلمية ، مما لم يرو قط عن المسيح ، ولعلك تتبين أيضاً الفلسفة التى تتخلل مباحث رسائله ، وهى ضرب من فلسفة أرسطوطاليس التى كانت شائعة فى أوائل القرون

الوسطى فى أوربا .

والحقيقة التى لا ريب فيها أن بولس كان على جانب كبير من معرفة الفلسفة اليونانية ، وسمو المدارك ، وقوة الحجة ، وشدة العارضة ، وجلاء البيان ، وقد رأى بعضهم أن مباحثه الفلسفية عن الجسد والنفس من الوجهة الدينية من أسمى ما كتب الباحثون الدينيون ، فمن قوله : « وَيحى أنا الإنسان الشقى ! من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟ » . (رومية ٨ : ١٤ — ٢٥)

هذه الفلسفة فى كتابات بولس ، التى لم ترو قط عن المسيح ، تجعلنى أشك فى أن الإنجيل من وحى الله ، وذلك لاختلاف أسلوب الكتابة ما بين السهولة المطلقة والفلسفة العمقية . وفى هذا يقول الله تعالى ليؤكد إعجاز القرآن الكريم : (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً)(١) .

وليت الأمر اقتصر على هذا . بل أن كتاباته أصبحت مبادىء يؤمن بها فأى تناقض بين نداء المسيح بالسلام كما أوردت فى القصة آنفة الذكر ونداء بولس فى رسالته إلى أهل غلاطيه : « اطرد الجارية وابنها ، لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة . إذاً أيها الإخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد حرة » . (غل ٤ : ٣٠ و ٣١) .

ولا ريب فى أن ما تعانيه أمريكا اليوم من التفرقة العنصرية

---

(١) ٨٢ النساء .

ــ وهى الدولة المسيحية اللاتينية ــ إنما هو وليد الإيمان بمثل هذه المبادىء التى تناقض إرادة الله القائل (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .وقول المسيح : « أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم».

وقد كتبت جريدة الأخبار بتاريخ ٢٢/ ١ /٦٢ فى صحيفة ٦ عمود ٦ حادثاً يندى له جبين مدنية عصر الصواريخ. هذا الحادث يتلخص فى طرد وكيل الخارجية الأمريكية من مطعم المطار لأنه زنجى .

أهذه هى المسيحية التى نادى بها المسيح ؟ إن المسيح وصى بمحبة القريب مثل محبة الله ، أوكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أيها الناس إن ربكم واحد ، وأن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر ــ إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) صدق رسول الله .

١٠ ــ الكتاب المقدس والعقيدة المسيحية

(أ) الكتاب المقدس

١ ــ المسيحية دين الدولة:

يرجع الفضل إلى انتشار المسيحة فى ربوع الإمبراطورية الرومانية إلى رحلات بولس المدعو رسولا فى آسيا وأوربا ، وإلى كتاباته التى تحتل المكانة الأولى بين كتابات الحواريين .

ويرجع الفضل فى تمكين المسيحية من الإمبراطورية الرومانية إلى اعتناق الإمبراطور قنسطنطين المسيحية ، ثم اعترافه بها فى مرسوم ميلان الشهير سنة ٣٢٣ م ، وبهذا وضحت معالمها، وبرزت تعاليمها .

وهذا الانتشار أو التطور جعل المثقفين يأخذون بهذه الأمور متسائلين عن العلاقة بين الله والمسيح ، محاولين تحديد هذه العلاقة كما استفسروا عن طبيعة الملائكة ، وعن المقصود بأن الخبز والنبيذ تحولا إلى لحم المسيح ودمه .

وسرعان ما احتلت هذه المسائل جانبا كبيرا من تفكير المسيحيين عند ما غدت المسيحية ديناً رسمياً للدولة. وقد أدى هذا إلى تطور فى أسلوب الدراسات اللاهوتية، وقيامها على منهاج يقتنع به المثقفون من معتنق الديانة الجديدة. وقام بهذه المهمة مجموعة من كبار العلماء ومفكرى المسيحية الذين يطلق عليهم لقب آباء .

٢ — الآباء وتطوير المسيحية :

كان هؤلاء الآباء على معرفة بالفلسفة الكلاسيكية، فأفادوا منها — ولا سيما من الآراء الأفلاطونية الجديدة — في تأييد آرائهم، والتدليل عليها، وتقديم العقائد المسيحية في صورة علمية يتقبلها المثقفون.

هذا إلى أن هؤلاء الآباء عملوا على التوفيق بين تعاليم المسيحية من جهة ومطالب الدولة والكنيسة من جهة أخرى. ومن هؤلاء الآباء وأهمهم :

١ — القديس كليمنت الإسكندرى في القرن الثالث الميلادى
٢ — القديس جيروم حوالى (٣٣٠ — ٤٢٠م)
٣ — القديس أوريجانوس حوالى (١٨٥ — ٢٥٤ م)
٤ — القديس أمبروز حوالى (٣٤٠ — ٣٩٧م)
٥ — القديس أوغسطينوس حوالى (٣٥٤ — ٤٣٠م)

٣ — الكتاب المقدس :

لقد كان للقديس جيروم الأثر الفعال في الحركات الإصلاحية، إذ قام بترجمة العهد القديم من اللغة العبرانية إلى اللغة اللاتينية، وتنقيح العهد الجديد وترجمته من اللغة اليونانية إلى اللغة اللاتينية، ويعتبر هذا العمل من أكبر الأعمال الكنيسية، وتسمى هذه النسخة بالفولجاتا.

وظل يعمل فيها حتى وفاته سنة ٤٢٠م، وقد كان الكتاب

المقدس مغلقاً عليه حتى عهد الإصلاح سنة ١٤١٤م .

٤ — الكتاب المقدس والخط اللاتيني :

إن اللغة اللاتينية تعرضت لتغيرات ضخمة فى مدى قرنين ونصف قرن،وهى المدة الواقعة بين (تاكتيوس سنة٥٥ — ١٣٠م، وأغسطينوس سنة ٣٥٤ — ٤٣٠م) .

ذلك أن انتشار المسيحية فى الغرب خلال هذه الفترة لم ينشأ عنه إدخال الفاظ جديدة من أصل يونانى فحسب ، بل أدى أيضاً إلى استحداث كلمات جديدة وتعبيرات لم تكن معروفة من قبل لتلائم الآراء والمعتقدات والطقوس الدينية التى أتت بها المسيحية.

وقد نجم عن ذلك تغيير جسيم فى اللغة اللاتينية .ويبدو الفارق واضحاً بين اللغة اللاتينية الفصحى ـ كما كتبها شيشرون ـ واللغة اللاتينية الجديدة أو الدارجة التى استخدمها كتاب العصر المسيحى منذ عهد ترتوليان سنة ٢٠٠ فصاعدا ، وهكذا انتهى عصر البلاغة والبيان الذى كان يمتاز به الأسلوب اللاتينى.

وثمة مظهر آخر من مظاهر التأخر الذى أصاب اللغة ، وبالتالى أصاب أوربا فى ذلك العصر ، هو تدهور مستوى الخط فى الكتابة وفى المخطوطات أو الوثائق الحكومية المعاصرة . ففى العصور القديمة كانت الكتب تدون على مجاميع من أوراق البردى، ولكنها منذ القرن الأول الميلادى أصبحت تدون على صفحات

من الرقائق الجلدية مقطوعة على هيئة مربعات قائمة الزوايا أطلق عليها الكتب المربعة . ومعظم المخطوطات التي ترجع إلى العصر الميروفنجي أو العصر القوطي من هذا النوع .

أما الخط فكان على ثلاثة أحجام ، لكل حجم منها اسم خاص به ، وهي :

١ ــ الحروف الكبيرة ، وتسمى : ماجسكيل .

٢ ــ الحروف البوصية . وتسمى : يونيكيل .

٣ ــ « الصغيرة . وتسمى : ماينوسكيل .

ولم يلبث أن أدى انتشار الجهل إلى فساد الخط ، وتعذر قراءته ، فوقع الكتاب بذلك في أخطاء عدة ، مما أفسد الكتابة إفساداً يبدو بوضوح في الترجمة اللاتينية للإنجيل في ذلك العصر .

(ص ١٨٠ ج٢ : من كتاب العصور الوسطى لمؤلفه ج.و.طمسن . المطبوع في لندن سنة ١٩٢١م) .

٥ ــ الكتاب المقدس والنسخ الخطية :

١ ــ نسخة الاسكندرية : وتشمل أربعة مجلدات ضخمة ، الثلاثة الأولى منها للعهد القديم ، والرابع للعهد الجديد . أجمع العلماء على كتابتها في القرن الرابع الميلادي بمدينة الإسكندرية .

٢ ــ نسخة الفاتيكان : يؤكد العلامة مونتفكون والعلامة بلانشيني أنها كتبت في القرن الخامس ، ولا يشبهها إلا نسخة الإسكدرية ، وهي محفوظة الآن في الفاتيكان بروما .

٣ — النسخة السينائية : إكتشفها العلامة تشيدرف الألمانى ، وقد كتبت فى القرن الرابع ، ولهذا الكشف كرر العلامة زيارته لدير سانت كاترين بسيناء سنة ١٨٤٤م وسنة ١٨٥٦ م ، وأخذ المخطوطات وأهداها إلى قيصر روسيا الإمبراطور اسكندر ، وما زالت إلى الآن محفوظة بمكتبه بطرسبرج ، وهناك مخطوطات أخرى فى لبسيك .

٤ — النسخة السبعينية ، وهى التى استدعى لها بطليموس فيلاد لفيوس سبعين من أحبار اليهود إلى مدينة الاسكندرية سنة ٢٨٠ ق.م. ليقوم كل منهم على حده بترجمة التوراة من العبرانية إلى اليونانية ، ثم يقابلوا بعض تراجمهم على بعض ، ففعلوا ذلك ، وأظهرت المقابلة صحة الترجمة .

(ب) العقيدة المسيحية

١ — المجامع الكنيسية.

٢ — الفلاسفة وتطوير العقيدة.

٣ — قصة الصليب وفلسفته .

٤ — موقف القرآن من الصليب.

٥ — براءة الاسلام من هذه الشبهات .

١ — المجامع الكنيسية :

ترتب على الاعتراف بالمسيحية دينا رسمياً للامبراطورية الرومانية نتائج بعيدة الأثر فى الكنيسة ونظامها ، وكان الجهاز

الذى يحكم شئون المسيحيين روحياً يطلق عليه الكنيسة الكاثوليكية (وكلمة «كاثوليك» كلمة لاتينية ترادف «كوزميك» اليونانية، ومعناها الكونية)، وكانت الكنيسة فى أيام قسطنطين كنيسة واحدة يتزعمها الإمبراطور قسطنطين ثم بدأ هذا الجهاز يتألف من رجال الكهنوت فحسب، وكان صراع عنيف بين الأباطرة والباباوات حول الزعامة فى العصور الوسطى.

وقد ظهر على رأس الكنيسة بعدئذ خمسة بطارقة فى خمس مدن رئيسية وهى:

١ — روما فى إيطاليا ٢ — بيت المقدس فى فلسطين
٣ — أنطاكية فى الشام ٤ — القسطنطينية فى آسيا الصغرى
٥ — الإسكندرية فى وادى النيل.

وهؤلاء البطاركة يمكن تشبيههم بكبار الرؤساء الإداريين فى الإمبراطورية الرومانية «كالولاة».

وكان الجهاز الكنسى يتدرج من القمة إلى مستوى الشعب، بأن يتبع هؤلاء البطارقة مجموعة من رؤساء الأساقفة، وهؤلاء الرؤساء من الأساقفة يشبهون فى نظامنا السياسى المحافظين، ويمتد نفوذ الواحد منهم إلى عدة أسقفيات، وهذه الأسقفيات تشمل الكنائس والأديرة والمدارس والأوقاف الخيرية.

وتشمل الأسقفية الواحدة عدة أبروشيات، على كل أبروشية قسيس راع، ويتبع الأبروشية الواحدة القساوسة المعلمون والمبشرون

والشمامسة . ثم ينتهى هذا الجهاز يبسط نفوذه إدارياً وروحياً على الشعب .

وهكذا ظهر هرم كهنوتى متدرج يشبه إلى حد كبير هرم الوظائف الإدارية فى الإمبراطورية الرومانية .

وهذا الجهاز جعل من الكنيسة حكومة ثيوقراطية وراثية ، تستمد نفوذها من المسيح ، فهى بذلك تعتمد على العقيدة المسيحية فى سلطانها وسيطرتها على الشعب، من الملوك إلى المزارعين والعمال

ونجم عن هذا الجهاز الدقيق وعن تشبث رجال الدين بمراكزهم إن كان هناك صراع من أجل النفوذ . دفعهم إلى العمل لاستبعاد كل الشخصيات التى يتوجسون منها خيفة فى إثارة مشاكل أو منافسة على سلطان الكنيسة.

ومع هذا التشبث الدنيوى تعرضوا لأخطر مشكلة نجم عنها انقسام المسيحيين — بل الإمبراطورية الرومانية أيضا — إلى معسكرين ، وثارت البغضاء الدينية والسياسية بينهما لمدة قرنين من الزمان .

هذه المشكلة هى تحديد العلاقة بين المسيح الابن والإله الآب.

المشكلة التى تعرضت لها الكنيسة:

حدث خلاف جوهرى بين اثنين من رجال الكنيسة بالإسكندرية حول تحديد العلاقة بين المسيح الإبن والإله الآب .

فقال آريوس — وهو أسقف اسكندرى — : أن المنطق يحتم وجود الآب قبل الإبن ، ولما كان المسيح الإبن مخلوقا للإله الآب،فهو إذن دونه ، ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن يعادل الإبن الإله الآب فى المستوى والقدرة ، وبعبارة أخرى فإن المسيح مخلوق لا إله، بمعنى هذه الكلمة المطلق وإلا فإن المسيحيين يصبحون متهمين بعدم التوحيد وبعبادة إلهين.

وقال أثناسيوس — وهو شماس اسكندرى — (لاحظ أيها القارىء التدرج الهرمى فى الوظائف الدينية)أن فكرة الثالوث المقدس تحتم أن يكون الإبن مساويا للإله الآب تماما فى كل شىء، بحكم أنهما من عنصر واحد بعينه ، وإن كانا شخصين متميزين .

ويبدو أن الاثناسيوسيين أدركوا أن المسيحية تعتمد فى دعوتها على مكانة المسيح، وأن أى إتجاه للتقليل من شأنه قد يؤدى إلى إضعاف الدعوة المسيحية .

ومن الواضح أن المذهب الآريوسى كان يتفق مع منطق المثقفين لأنه أراد أن يقيم العقائد المسيحية على أساس من المنطق والتعقل فى حين كان المذهب الأثناسيوسى يلائم تفكير عامة الناس من الدهماء الذين يحكمون عواطفهم قبل عقولهم .

وحسما للموقف دعا الإمبراطور قنسطنطين إلى عقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م وفيه صدر قرار بإدانة آريوس أسقف الإسكندرية

وتوالت بعدئذ الدعوة إلى عقد مجامع يحضرها أساقفة المعمورة ليتدارسوا فيها شئون الكنيسة ، وما يرتبط بها من نظام كهنوتى ، وعقيدة ، ولاهوت .

ومن أشهر وأهم هذه المجامع ـ بعد مجمع نيقية آنف الذكر ـ المجامع الآتية :

١ ــ مجمع صور سنة ٣٣٤م:

فى هذا المجمع الذى عقده الإمبراطور قنسطنطين صدر قرار بالغاء قرارات مجمع نيقيةسنة ٣٢٥م.وصدر قرار بالعفوعنآريوس وأتباعه ، وبقبول تعاليمه .

وكان هذا القرار تبرئه للمسيحية من الشرك : (لقد كفر الذين قالوا : أن الله هو المسيح بن مريم ، وقال المسيح : يا بنى إسرائيل أعبدوا الله ربى وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار)(١) .

٢ ــ مجمع خلقدونيا سنة ٤٥١م :

أصبح رابع مجمع مسكونى دينى باغفال مجمع صور سنة ٣٣٤م ، وفيه اتخذ قراربأن للمسيح طبيعتين:طبيعة إلهية ، وطبيعة إنسانية متحدتين اتحاداً وثيقاً . وكان هذا القرار فى عهد البابا ليو الأول ويعتبر هذا المذهب بالمذهب الملكانى.

---

(١) ٧٢ : المائدة

٣ — مجمع القسطنطينية الثانى سنة ٥٥٣ م :

فى هذا المجمع إستصدر قرار بتأييد مذهب الطبيعة الواحدة ، وساند هذا التأييد الامبراطور جستنيان ، إرضاء لزوجته ثيودورا وتنكيلا للبابا فجيليوس ، وتشجيعاً ليعقوب براديوس معتنق مذهب الطبيعة الواحدة ، ومؤسس كنيسة اليعاقبة ، وقد جاء ذكرهم بكونهم جيراناً يقيمون على مشارف الجزيرة العربية .

٤ — مجمع القسطنطينية الثالث سنة ٦٨٠م :

وقد اتخذ هذا المجمع قراراً بإدانة مذهب الطبيعة الواحدة ، فكان هذا نقضا لقرار سنة ٥٥٣ م .

٥ — مجمع نيقية الثانى سنة ٧٨٧ م :

وقد اتخذ قراراً بإدانة اللا أيقونية .

٦ — مجمع القسطنطينية الرابع لسنة ٨٦٩ م :

ويعتبر هذا المجمع نقطة الانقسام الكنسي فيه اتخذ قرار بادانة البطريك فسوتيوس وعزله . ومن هذا الوقت بدأ الانشقاق المذهبى بين الشرق والغرب وانتهى بالإنقسام التام بين المسيحيين . إذ تكون على أثره كنيستان :

كنيسة شرقية : أطلق عليها أرثوذكسية ، وتعنى مستقيمة الرأى ، وكنيسة غربية بقيت على اسمها كاثوليكية ، وكانت قاعدة الكنيسة الأولى القسطنطينية ، وقاعدة الكنيسة الثانية روما .

هذا بالإضافة إلى مجمع كونستانس سنة ١٤١٤م سنة ١٤١٨ م .

ومجمع بازل سنة ١٤٣١ م .

وهذه المجامع دعا اليها رجال الإصلاح الكنسى . لما رأوا عليه الكنيسة الكاثوليكية من الانحراف عن الكتاب المقدس .

وكان لهذه المجامع القوة الفعّالة فى حركة لوثيروس فى أكتوبر سنة ١٥١٧ م ، ذلك الراهب الكاثوليكى الذى استنار بنور الكتاب المقدس ، وكان هذا النور بمثابة الوميض الذى كشف سوء حالة الكنيسة والإكليروس وانحرافهم عن الحق ، فندد بصكوك الغفران وكان من الجرأة إلى حد أنه عرّض حياته للحرمان الكنسى وغضبة البابا عليه ، وعرض جسده للموت حرقاً ، كان من الجرأة أن ألصق معلقته المشهورة والمشتملة على ٩٥ بنداً كلها تنديد بالكفر والضلال .

ولم يقف البابا ليو العاشر مكتوف اليدين ، بل استصدر حكمين ضد هذا الراهب. الحكم الأول بالحرمان من الحياة الأبدية والحكم الثانى بإعدامه حرقاً بالنار.

وفى وسط هذه الغضبة العارمة كان الشباب الألمانى سبّاقا إلى أنقاذ حياة هذا الراهب ، والإيمان بمبادئه ، والضرب بأحكام البابا ليو العاشر عرض الحائط ، وكان هذا التصرف بمثابة التفجير الذرى الذى أصاب الكنيسة الكاثوليكية بتصدع عنيف لم تسكت عليه مدى الأيام ، فوقعت الحروب المذهبية الدامية

والاضطهادات التي يندى لها جبين الإنسانية .

ومع هذا فقد انسلخت كنيسة ثالثة أطلق الناس عليها الكنيسة البروتستانتية (أي المحتجة) . وهكذا لم ينصرم عام ١٥٢١ م حتى كان على الأرض ثلاث كنائس كبرى .

١ — الكنيسة الكاثوليكية وقاعدتها روما .

٢ — الكنيسة الأرثوذكسية وقاعدتها القسطنطينية .

٣ — الكنيسة البروتستانتية وقاعدتها ألمانيا، ثم انتقلت إلى انجلترا ثم إلى الولايات المتحدة.

ومع تعدد هذه الكنائس الكبرى كانت كل كنيسة منها تنقسم على نفسها إلى عدة مذاهب ، وكل مذهب له تفكيره الخاص في الإيمان ، وكل مذهب له أنصاره .

(٢) الفلاسفة وتطوير العقيدة :

١ — كليمنت الإسكندري (١٥٠ — ٢١٥ م) .

وأوريجانوس (١٨٥ — ٢٥٤)

وقد تزعم هذان فلسفة مسيحية منظمه ، مقرها الإسكندرية. واعتمدا في طريقتهما على أسس مستقاة من الفسلفة الأفلاطونية.

وقد قال فرفريوس (٢٣٢ — ٣٠٤ م) عن أوريجانوس: إنه مسيحي في أسلوب حياته ، ولكنه يوناني في تفكيره ومنطقه .

وقد عاش أوريجانوس فى الاسكندرية إبان نهضتها العلمية ، حيث كانت تتلاقى فيها الفلسفة اليونانية ، والمانوية ، والفيثاغورية والمسيحية ، فضلا عن عقائد قدماء المصريين ، والمذاهب الشرقية المستوردة من الهند وفارس والصين .

وعلى الرغم من الاعتراف بأوريجانوس أباً من الآباء — إلا أن تشبعه بالفلسفة اليونانية أدت إلى إتهامه بالهرطقة التى أدانه بها مجمع القسطنطينية فى القرن السادس .

على أن تيار الأفلاطونية استمر فى تدفقه وتأثيره فى الفكر المسيحى فى القرن الرابع ، ولم يلبث أن انتقل إلى الغرب عن طريق جريجورى أسقف نيسا سنة ٤٠٠ م تقريبا ، فالقديس أمبروز أسقف ميلان سنة ٣٩٧ م تقريبا .

٣ — ديونسيوس الأريوباغى :

ظهر فى القرن الخامس الميلادى ، وكان قاضيا بمحكمة أثينا العليا ، وله التأثير الفعال فى تدعيم وتطعيم الفكر المسيحى بالآراء الأفلاطونية .

ومن آثاره : «اللاهوت الصوفى » أى العلم بالله وبكل الأمور الإلهية علما ذوقيا تجريبيا .

٤ — القديس أوغسطينوس ٣٥٤ — ٤٣٠ م :

ومن آثاره أنه وضح مذهب القضاء والقدر ، ومذهب حرية

الإنسان .

٥ — بيوثيوس ٤٧٥ — ٥٢٤ م :

وهو من أسرة رومانية شريفة ، تدرج فى منصب الوزارة لثيودريك ملك القوط الشرقيين فى إيطاليا .

ومن آثاره الرسائل التى كتبها فى اللاهوت . ولخص فيها مبادىء الثالوث، وتجسد الأقنوم الثانى ، وتتفق مبادئه مع الخطوط العريضة لعلم الأخلاق الأفلاطونى .

ويحسم القرآن الكريم هذه الفلسفات بقوله تعالى .

١ — (وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ؟ قال سبحانك ، مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق . إن كنت قلته فقد علمته . تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك ، إنك أنت علاّم الغيوب . ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به : أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد . إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)(١)

٢ — (وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له مافى السموات والأرض كل له قانتون) (٢)

٣ — (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى

---

(١) ١٦ — ١٨ : المائدة (٢) ١١٦ : البقرة

مريم وروح منه . فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم ، إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ، له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا (١))

٤ — (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) (٢)

٤ — الصليب

هذه الشبهة لها ماض سحيق ، يعود إلى أيام سيدنا موسى بين بنى إسرائيل فى برية سيناء إذ تمردوا على الله وتنكروا له، فعاقبهم الله بالحيات والعقارب . ولما صرخوا إلى موسى يطلبون الخلاص من هذه الضربات أمره الله عز وجل بأن يصنع حية نحاسية ، ويعلقها على طرف خشبة ، ويأمر التائب من بنى إسرائيل بأن يرفع وجهه لينظر إليها ، فيشفى .

لكن الأجيال توارثتها كعقيدة بقوة الرغبة فى الخلاص فى هذه الحية النحاسية ، وضاع الحق بالباطل .

وظل بنو إسرائيل يقيمون لهذه الحية الأنصاب على المرتفعات حتى جاء حزقيا بن آحاز ملك يهوذا . وأراد أن يعمل ما هو مستقيم أمام الله ، « فأزال المرتفعات ، وكسر التماثيل ،

---

(١) ١٧١ : النساء   (٤) ٧٣ : المائدة .

وقطع السوارى ، وسحق حية النحاس التى عملها موسى ، لأن بنى إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها ، ودعوها نحشتان » (الملوك الثانى الباب ١٨ : ٤) .

هذا هو التاريخ الكتابى لإقامة الصليب بمثـــابة الإله ، من موسى سنة ١٤٠٠ ق . م إلى حزقيا سنة ٥٢٨ ق . م . وظلت هذه العبادة قائمة رغم أن الوصية الإلهية الثانية من الوصايا العشر تنهى عن هذا . « لا يكن لك آلهة أخرى أمامى لا تصنع لك تمثالا منحوتا ... » (خروج ٢٠ : ٣ ، ٤)

ا ـ التاريخ السياسى للصليب

يحدثنا عنه السير أرثر فندلاى فى كتابه الكون المنشور صحيفة ٥٨ (إن اكتشاف النار كان من أهم الاكتشافات التى وصل إليها الإنسان الأول فى سابق العصور . لقد وجد أنه يمكنه توليد هذه النار باحتكاك قطعتين من العصى ، ولما شاهد هذا اللهب العجيب سحر به ، وبهت إلى درجة أنه عبده ، ومن ثمّ كانت عبادة النار)

وإسرائيل الأمة الموحدة — وهى تعيش بين هؤلاء الأقوام — توارثت عنهم الكثير .

ولقد جاء ذكر العصوين بمواصفات أوحى الله بها إلى عبده موسى بقوله : « وتصنع عصوين من خشب السنط وتغشيهمـا بنحاس ، وتدخل عصوية فى الحلقات ، فتكون العصـوان على جانبى المذبح حينما يحمل » (خروج ٢٧ : ٦ و ٧)

فأصبح أمر العصوين لإسرائيل مزيجــا من الأمر الإلهى والعبادة الوثنية فالعبادةالوثنية جعلت لتقريب الإله الذى يتعبدون له ــ أن ترمز إليه بعصوين متعامدتين على شكل صليب .

وعلى هذا أصبح الصليب رمزاً للحياة والتضحية منذ آلاف السنين .

وهذا الرمز وجد منقوشا على الألواح الحجرية الموضوعة فوق القبور البالغة القدم .

ولقد شغل الصليب مكانة دينية مرموقة فى مصر وفى آشور، والفرس ، والهند .

ويقال : إن الإمبراطور قنسطنطين قد اتخذه رمزاً للإيمان المسيحى نقلا من المحورين المتعامدين للمجموعة الشمسية التى كانت جيوشه قد جاءت بها من بلاد الغال رمزاً لعبادتهم الشمس .

وعلى هذا يكون الصليب رمزاً دينياً قديما جداً ، لايمت إلى المسيحية بصلة .

ويقول السير آرثر فندلاى أيضا فى كتابة صخرة الحق صحيفة ٧٢ : (حتى سنة ٦٨٠ م لم تكن الفكرة قد تبلور تحول الرمز الذى يعطى لصلب عيسى ، وقبل ذلك كان يرمز بحمل للمخلص مذرا ، فاستبدل عندئذ الحمل برجل مربوط إلى صليب (ومذرا هو المسيح المخلص للفرس سنة ٤٠٠ ق . م).

ثم يستأنف السير آرثر فندلاى حديثه فى صحيفة ٤٣ من نفس المرجع فيقول : (ولقد استخدم الصليب منذ آلاف السنين كعلامة على الحياة ، ففى مصر القديمة الفرعونية كان الصليب يستخدم كمركز للحياة ، حتى أنه وجد فى مدينة الأقصر بالجمهورية العربية المتحدة على جدار معبد الأقصر كتابة قديمة تبشر بالأم العذراء ، والروح القدس المصرى كان يرسم قابضاً على صليب أمام وجه الأم العذراء ، وفى المنظر بعد ذلك يصورونها وقد وضعت طفلا إلهاً ، وفى اليونان كان الصليب يستخدم كمركز للحب والتضحية . وكذلك الأمر فى التبت والهند) .

ويسترسل السير آرثر فندلاى فى كتابة (الكون المنشور) صحيفة ٧٨ فيقول : (إن قصة الصليب قيلت قبل عيسى على الستة عشر إلها مخلصا ، وقصص حياتهم على الأرض من المهد إلى اللحد ثم البعث — كلها متشابهة ، وكأن كل ديانة ترث من سابقتها .

ونتيجة لهذا نشأت فكرة الفداء ، فأولئك الذين يعبدون الشمس كانوا يقدمون آلاف الضحايا للشمس ، وكان هذا العدد يتضاعف عندما يحل الكسوف ، إذ كانوا يعتقدون أن الإله الشمس غاضب ، أو أنه غير راض على عباده ، وكانوا يعتقدون عندما ينتهى الكسوف أن السبب فى انتهائه فداء أحد زعماء القبيلة للشعب ، بتقديم نفسه ضحية ، وبهذا يعتبر ذلك الزعيم مخلصهم ومسيحهم ، ويعتبر شخصاً إلهيا ، حمل على نفسه عذاب شعبه.

وعلى هذا المنوال أحاطت بالمسيح عليه السلام مثل هذه الضلالات ، إذ قيل : أنه قد حصل على الأرض ظلام ، « ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة » (إنجيل لوقا ٢٧ : ٤٥) .

وبذلك كان موته — كما يحققه التلمود اليهودى — على الطريقة المنصوص عنها فى التوراة ، بحيث رجم بالأحجار ، ثم علق جسده على شجرة . وحيطت هذه الحادثة بخرافات ومعتقدات الأقدمين الذين أنشأوها رغبة منهم فى تهدئة إلههم الشمس فى وقت الكسوف

وليس هذا بعجيب ، فإن كهنة الهند قالوا — فى مطلع سنة ١٩٦٢ — إن القيامة لابد أن تقوم ، وفسر علماء الفلك قولهم هذا بحقيقة وجود الشمس والقمر والأرض على خط واحد ولولا عناية الله وحفظه لخلقه لحل الدمار بالعالم ، باختلال الجاذبية التى تحفظ توازن كل كوكب من هذه الكواكب فى مساره ، ومع هذا حفظ الله الأجرام فى أفلاكها دون فقدان جاذبيتها التى تحفظها سابحة فى أفلاكها .

وأصبح الصليب معبود الأقدمين رمزاً للمحورين المتعامدين للمجموعة الشمسية ، وينبغى تقديم الفدية حتى لا يقع كسوف شمس كما أشرت آنفا .

ثم أصبح الصليب فى سنة ٦٢٢م وفى عهد الإمبراطور هرقل رمزاً للجيوش الصليبية ، وكان ذلك عند استيلاء الدولة الفارسية

الساسانية على فلسطين و بيت المقدس سنة ٦١٧م إذ أعد الإمبراطور هرقل جيشاً صليبياً لاسترداد الصليب الأعظم من يد الدولة الفارسية الساسانية الغاصبة .

و يبدو أن وجهة نظر الإمبراطور فى تعبئة جيش صليبى كان محاولة يائسة لرد هجوم الفرس الذين لم يبقوا له من أملاكه سوى القسطنطينية ، وكانت هذه العلامة القوة الدافعة للنصر الرائع .

ثم قامت الجيوش الصليبية بتنظيم حملات صليبية ضد جيوش المسلمين من سنة ١٠٩٧ — ١٢٥٠ هذه الحملات السبعة التى انتهت أمرها بانتصار صلاح الدين الأيوبى انتصاراً رائعاً سنة ١١٨٧ م ، واستيلائه على بيت المقدس ، وتطهيره من تلكم الجيوش الغاشمة وبأسر لويس التاسع ملك فرنسا بالمنصوره سنة ١٢٥٠ م .

هذه هى قصة الصليب من حيث التاريخ الكتابى ، ومن حيث التاريخ السياسى .

هذه قصة الصليب التى أصبحت عقيدة ورمزا للمسيحيين .

هذه قصة الصليب التى مجدها بولس المدعو رسولا ، وجعلها موضوع كرازته وتبشيره بقوله . « لأنى لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم لا يسوع المسيح وإياه مصلوبا » ، « رسالة بولس المدعو رسولا الأولى إلى أهل كورنثوس الباب الثانى من العدد الثانى»

ب — التاريخ الدينى للصليب

١ — الشعب اليهودى يمجد مسيح الله . فكيف يتأتى له أن يصلب المسيح عيسى بن مريم ؟

٢ — التلاميذ ينظرون إليه كابن الله ، فكيف يتخلى عنه الله وينادى بقوله المأثور « إلهى إلهى ، لماذا تركتنى ؟» (متى٢٧: ٤٦)

٣ — التباس الحوادث مما ينفى حادث الصلب عن المسيح ، وإن كان قد حدث حقيقة فمن هو المصلوب ؟

٤ — موقف القرآن الكريم من هذه الفرية ، وهل الله العزيز الحكيم تعوزه الوسيلة لمغفرة الخطايا ؟

أولا : الشعب اليهودى يمجد مسيح الله :

إن الشعب اليهودى — وهو الشعب الموحد بالله — يخشى الله ويخشى مسيح الله ويؤيد هذا الصراع المريع بين شاول الملك فى مطاردته لداود الذى بغية قتله والتخلص منه، ويشاء الله القدير أن يقع شاول الملك فى قبضة داود الذى هرب إلى الجبال ليحتمى من سطوة وبطش الملك . لقد وقع شاول الملك ثلاث مرات فى قبضة داود ، وفى كل مرة كان يصفح عنه داود .

١ — « قال إيشاى لداود : قد حبس الله اليوم عدوك فى يدك فدعنى الآن أضربه بالرمح إلى الأرض دفعة واحدة ولا أثنى عليه، فقال داود لإيشاى : لا تهلكه ، فمن الذى يمد يده إلى مسيح الرب

ويتبرأ .

وقال داود : حي هو الرب ، إن الرب سوف يضربه ، أو يأتى يومه فيموت ، أو ينزل إلى الحرب ويهلك ، حاشا لى من قبل الرب أن أمد يدى إلى مسيح الرب .. فقال شاول قد أخطأت ، (١صم ٢٦ : ٨ — ٢٥) .

وهذا التصرف من داود النبي ، هو التصرف السليم الذى تتحقق به إرادة الله (العفو عند المقدرة) ، والذى يقهر الخصم فيجبره على الاعتراف بخطئه كما اعترف شاول الملك بقوله لداود عليه السلام قد أخطأت .

وعلى هذا نتبين أن الرسالة واحدة ، رسالة الله ، وكلمة الله هى واحدة ، والهدف واحد ، وهو الإشارة إلى ملك الكون ، الله جل جلاله . وإنما تختلف الطريقة وتتلون الحقيقة فى أعين الناس على حسب اختلاف عقولهم وأزمانهم، وإذا كان عيسى أو موسى أو محمد — صلوات الله عليهم أجمعين — رسل الله يبشرون بالكلمة — فان الله جلا جلاله من ورائهم جميعاً ، وأنبياء الله كمثل الكهرباء التى تسرى فى المصابيح الكهربائية ، فتشع بالضياء ، أو تسرى فى المحركات الآلية ، فتولد الحركة ، هذه الكلمة لا يمكن أن تسير بدون أضوائه المتلألئة فى كل سماء ، وإن كانت تحجبها أحيانا سحب من صنع البشر .

ثانياً — التلاميذ ينظرون إلى المسيح عيسى بن مريم كابن الله فكيف يتخلى عنه الله ؟

لقد ذكر الحوارى متى فى إنجيله قصة التجلى للمسيح عيسى بن مريم فى الباب ١٧ : ١—٨ . وهذا نصها للفائدة التاريخية ، «وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه ، وصعد بهم إلى جبل عال منفردين. وتغيرت هيئته قدامهم، وأضاء وجهه كالشمس. وصارت ثيابه بيضاء كالنور. وإذا موسى وإيليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه ... وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم، وصوت من السحابة قائلا : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت « له اسمعوا . ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جداً ، فجاء يسوع ولمسهم وقال : قوموا ولا تخافوا ، فرفعوا أعينهم ولم يروا أحــــدا إلا يسوع وحده » .

والأمر إلى هذا الحد لا يَعْدُو أن يكون قصة جميلة ، لكن الأمر الخطير فى هذه القصة هو وصية المسيح لهؤلاء التلاميذ الثلاثة بقوله : « لا تعلموا أحداً بما رأيتم » ، (متى ١٧ : ٩) .

ولنقابل هذه الحادثة بأخرى مماثلة مع اختلاف الحالة العاطفية من المجد إلى الموت ، من البهجة والسرور إلى الكآبة والحزن ، وها هى ذى القصة الثانية ، وقد وردت فى الأناجيل الثلاثة : إنجيل متى ٢٦ : ٣٦ — ٤٦ ، وإنجيل مرقس ١٤ : ٣٢ — ٤٢ ، ثم إنجيل لوقا ٢٢ : ٣٩ — ٤٦ .

والقصة كما وردت فى إنجيل لوقا : « وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون ، وتبعه تلاميذه أيضا . ولما صار إلى المكان قال لهم صلوا لكى لا تدخلوا فى تجربة، وانفصل عنهم نحو رمية حجر، وجثا على ركبتيه وصلى قائلا : يا أبتاه ، إن شئت أن تجيز عنى هذه الكأس ، ولكن لتكن ، لا إرادتى ، بل إرادتك . وظهر له ملاك من السماء يقويه . وإذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض ، ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه ، فوجدهم نياما من الحزن ، فقال لهم : لماذا أنتم نيام ؟ قوموا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة»

ثالثاً — التباس الحوادث مما ينفى حادث الصلب عن المسيح

هذه هى القصة ، ومنها نستخلص كينونة المسيح عيسى بن مريم كإنسان بشر ، يصلى فى جهاد ، فينزل ملاك من السماء ليقويه ويشد من أزره ، ثم يعود إلى تلاميذه ، فيجدهم ساعة هذه التجربة العظمى نياما .

ومن هنا حدث لبس فى شخصية المصلوب .

١ — كان مع تلاميذه ساهراً يصلى ، وأولئك كانوا فى سبات عميق نائمون .

٢ — ويتقدم يهوذا الاسخريوطى الجمع الذى يريد القبض عليه وينطق المسيح بمثله الشهير « أبقبلة تسلم ابن الإنسان ؟ » تقدم الجمع الذين جاءوا بمشاعل ومصابيح وسلاح (يوحنا ١٨ : ٣) ، ومن

هذا يتبين أن الوقت كان ليلا دامسا ، جاءوا بمشاعل ومصابيح » .

٣ — وإذا كان الله قد وهب له ملكا ليقويه أثناء الصلاة أفما كان الأولى به أن يحقق قول المسيح : « لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود ، لكن الآن ليست مملكتي من هذا العالم » ، (يوحنا ١٨ : ٣٦) .

بل أكثر من هذا يتبين — بقراءة النص الآتي من إنجيل متى ٢٧ : ٦٢ - ٦٦ - تلك الخدعة الكبرى لموضوع القيامة على أثر الخدعة الصغرى بالصليب . وهذا هو النص : « وفي الغد الذي بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين : يا سيد ، قد تذكرنا أن ذلك المضل قال — وهو حي — : أني بعد ثلاثة أيام أقوم . فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث ، لئلا يأتي تلاميذه ليلا ويسرقوه ، ويقولوا للشعب : إنه قام من الأموات ، فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى . فقال لهم بيلاطس : عندكم حراس ، اذهبوا واضبطوه كما تعلمون . فمضوا وضبطوا القبر بالحراس ، وختموا الحجر » .

هذه الفقرة يتبين منها النية المبيتة لرسول الله ، حوله تلاميذ لا حول لهم ولا قوة ، حوله تلاميذ تركوه عند المحنة ، فهذا يهوذا يسلمه ، وذاك بطرس ينكره ، وبقية التلاميذ قد تخلو عنه ساعة المحاكمة إن كان حقا هو الذي حوكم ، والحقيقة أنه لم يحاكم ، ولم يصلب ، ولم يرقد في قبر ، ولم يقم من بين الأموات ، إنما كانت

الواقعة تدور فى فلك يهوذا الذى أراد الله له تنكيلا ، جزاء خيانته، ورفع نبيه إليه ، وفى هذا قال برنابا الحوارى :

« فلما كان الناس قد دعونى الله ، وابن الله ، على أنى كنت بريئا فى العالم أراد الله أن يهزأ الناس بى فى هذا العالم بموت يهوذا ، معتقدين أننى أنا الذى مت على الصليب ، لكيلا تهزأ الشياطين بى فى يوم الدينونة ، وسيبقى هذا إلى أن يأتى محمد رسول الذى متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله »

ثم نجد أن هيرودس الملك يأبى أن يقتل نبي الله بقوله : «ولما أراد أن يقتله خاف من الشعب ، لأنه كان عندهم مثل نبي » ، (متى ١٤ : ٥) ، وبيلاطس الوالى الرومانى يتبرأ من هذا الذنب العظيم بقوله : « إنى برىء من دم هـذا البار ، أبصروا أنتم » ، (متى ٢٧ : ٢٤) .

وإن كانوا يعتقدون أنه الله قد ظهر فى الجسد ـ فهل بلغ الله من الضعف والذلة أن يصبح فريسة بيد خلقه؟ إن مجرد التفكير فى هذا الشأن يجعلنا ننتهى إلى أحد ثلاثة أمور :

١ — أهو الله؟ وإن كان كإله وخلص آخرين أفما كان الأولى به أن يخلص نفسه (متى ٢٧ : ٤٢) :

٢ — أهو نبى ومسيح الله ؟ إن الشريعة الموسوية تحرم القتل إطلاقا، وقتل الأنبياء خاصة، فكيف يستقيم هذا الادعاء مع كونه نبيا

٣ — أهو إنسان مجرد من تأييد الروح القدس له؟ وهنا يجوز أن يقتل لو كان هناك أسباب قانونية تدفع إلى القتل اقتصاصا ، والمسيح عيسى بن مريم كان رسول الله ونبيه الممسوح بالروح القدس، الذى قال «إن الله يقدر أن يرسل إليه جيشا من الملائكة لحمايته والله لن يتخلى عنه» وفى حادثتى التجلى وجثيسمانى انفرد بتلاميذه على الجبل تراءى له فى الأولى أنبياء الله «إيليا وموسى» ، وفى الثانية ملائكة الله ، ولعل فى حادث القبض عليه قد ظلله الله بسحابة ، ورفعه إليه، ولم يبق إلا يهوذا الذى شاءت العناية الإلهية أن يكون بديلا للمسيح للموت اللعين، والقرآن وحده يحسم الأمر.

رابعاً — موقف القرآن الكريم من الصليب

قال تعالى : (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما)(١) .

أيها القارىء المسلم ، يجب عليك أن تشكر الله بالغداة والعشى على ما وصلت إليه من هداية وتوفيق ، أيها القارىء المسيحى ، لعلك اقتنعت بأنك تعيش فى طلاسم ، تشرك بربك ، وتقيم من الإنسان نداً لله، وتجعل من هذا الإنسان كبشا للفداء لترضية الله . خبرنى بربك، أى إله هذا الذى تعتقد أن له الملك والسلطان ترضيه هذه الذبائح أيرضيه ذبح إنسان برىء؟ إنها المسيحية التى تطورت،

---

(١) ١٥٧ : النساء

وأخذت من الوثنية الإغريقية ، والوثنية الفرعونية ، والوثنية الفارسية، والوثنية الهندية ، إنها خليط من عقائد وثنية لحضارات أمم قد اندثرت .

وفى هذا الظلام الدامس — أيها المسيحى — يتألق القرآن الكريم ، ليكشف لك عن الله عز وجل فهذا هو الله الذى يخبرنا عنه الرسول فى كلمة الله ، فى القرآن الكريم .

(قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) (١) .

فإذا كان النصارى يعتبرون موت المسيح بن مريم لغفران الخطايا فهذا اعتبار فيه مساس بقدرة الله وبشخص الله ذاته ، وفى هذا شرك بالله وضلال مبين .

ويؤكد القرآن الكريم أن الله لا تعوزه الوسيلة لتحقيق غفران الخطايا بل كما تقره الآية الكريمة . (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . إن الله يغفر الذنوب جميعا . إنه هو الغفور الرحيم) .

وبهذ استطاع الإسلام أن يبرأ من كل ضلاله وفرية .

فيا أخى المسلم ، إن الإسلام دين المنطق والعقل ، لم يجعل الإسلام وساطة بين الله والإنسان ، ولم يترك مقادير الناس تحت رحمة نفر منهم يلوحون لهم بسلطان الكنيسة بقولهم . « وأعطيك

---

(١) ٥٣ : الزمر .

مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السماء » (متى ١٦ : ١٩) .

ومن هذا نشأ بالكنيسة سر يطلق عليه سر التوبة ، ويشتمل على :

١ — التوبة . ٢ — الاعتراف . ٣ — التأديبات الكنسية .
٤ — صكوك الغفران . ٥ — المطهر .

وعلى سبيل المثال فإن نص عقيدة الاعتراف ما يلى : « الاعتراف فى اللغة هو الإقرار بالشىء والتصريح به علنا ، وفى اصطلاح الكنيسة هو إقرار الخاطىء بخطاياه ، رجلا كان أم امرأة — أمام كاهن الله ، إقراراً مصحوبا بالندامة والتأسف ، والعزم الثابت على ترك الخطيئة وعدم الرجوع إليها ، لينال الحل منه بالسلطان المعطى له من الله القائل : « من غفرتم خطاياه تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » » .

العالم قبل بزوغ الإسلام

سارت الكنيسة — منذ أن أصبحت هيئة رسمية — على نهج النظام الإدارى الإمبراطورى ، وتطلب هذا النهج قيام شخصية عظيمة على رأسها ، تعادل فى الزعامة والقوة ما للإمبراطور على الإمبراطورية الرومانية بأسرها . ولعلنا نلاحظ فارقاً واضحاً بين الشرق والغرب ، ففى الشرق تتزعم الأباطرة الكنيسة منذ عهد الامبراطور قنسطنطين حتى غدوا يمثلون القيصرية البابوية .

ومن الواضح أن الإمبراطور قنسطنطين وضع أساس هذه السياسة عندما شد من أزر المسيحية ، واعترف بها ديناً رسمياً للدولة ، وشيد القسطنطينية قاعدة الإمبراطورية الرومانية «قيصرية بابوية» .

وكان للإمبراطور الحق فى دعوة المجامع الدينية لبحث مختلف المشاكل المتعلقة بالكنيسة والعقيدة المسيحية .

أما فى الغرب فإن الوضع يختلف عن ذلك كثيراً ، لأن الإمبراطورية الغربية أصبحت — بعد تقسيم العالم الرومانى إلى رومانى شرقى أو بيزنطى ، ورومانى غربى — ضعيفة ، لا تستطيع أن تفرض سيطرتها على الكنيسة والدولة جميعاً كما حدث فى الشرق ولكنها سرعان ما وجدت ضالتها المنشودة فى شخص أسقف روما الذى تحول كرسيه إلى بابوية لها السيادة العليا على

الكنيسة فى مختلف العالم الغربى . وترجع أسباب ازدهار روما إلى أهمية المدينة ذاتها فاستغل أساقفة روما هذه الأهمية والمكانة، لتحقيق نوع من السمو والزعامة على بقية أسقفيات الغرب.

وكان التنافس على أشده بين القسطنطينية وروما . فاستندت القسطنطينية على أنها قاعدة الإمبراطورية السياسية ، ومقر إقامة الأباطرة . واعتمدت روما على تشريف خليفة المسيح عيسى بن مريم، وهو بطرس الحوارى. ومكانة بطرس فى الكنيسة مكانة الصخرة التى بها يدعم الإيمان المسيحى ، لهذا قال عنه المسيح : « أنت بطرس وعلى هذه الصخرة إبن كنيستى » ، وبالإضافة إلى هذا خول له المسيح حق الحل والربط ، إذ أعطاه مفاتيح ملكوت السموات . وفى إنجيل متى الباب ١٦ : ١٨ ، ١٩ « وأنا أقول لك أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابن كنيستى ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السماء » .

وإذا كان هذا التشريف لبطرس زعيم الحواريين ومقدم الرسل — فإن خلفاءه أساقفة روما أحق الناس بأن يرثوا عنه زعامة العالم .

والواقع أننا لم نعرف من أساقفة روما فى القرن الرابع وبعد عصر قنسطنطين إلا نفراً ارتبطت أسماؤهم بحوادث جسام. ومن هؤلاء

البابا داماسوس ٣٣٦ — ٣٨٤م الذى كتب مؤلفاً استعرض فيه مكانة كرسى روما الأسقفى ، وأكد سيادة البابوية وسموها ، كما أنه عهد إلى القديس جيروم بترجمة الإنجيل إلى اللاتينية .

أما خليفة البابا سيركيوس ٣٨٤ — ٣٩٩ م فترجع إليه أولى المراسيم البابوية من عهده ، التى تناولت مسائل معروضة على أسقف روما للبت فيها .

وبعد ذلك اشتهر البابا ليو الأول ٤٤٠ — ٤٦١م الذى تم فى عهده الاعتراف بسيطرة البابوية على كافة الكنائس المحلية فى الغرب .

وفى سنة ٤٥٥م أصدر الإمبراطور فالنشيان الثالث امبراطور الغرب مرسوماً إمبراطورياً يقضى بخضوع جميع أساقفة الغرب للكرسى البابوى .

وهكذا ازدهرت البابوية حتى وصلت إلى القمة فى النفوذ السياسى والدينى فى عهد البابا جريجورى الأول ٥٩٠ — ٦٠٤م

من هذا نجد أن الاعتراف بالمسيحية ديناً رسمياً للدولة استلزم قيام تنظيم جديد للعلاقة بين الكنيسة من جهة والدولة والمجتمع من جهة أخرى . ذلك أن الإمبراطورية الرومانية كان لها دين رسمى وكهنة يتمتعون بمساندة الحكومة وتأييدها . ولكن رجال الدين فى العصر الوثنى لم يحاولوا التدخل فى شئون السلطة الزمنية مطلقاً ، على عكس الكنيسة التى أخذت تكتسب شيئاً فشيئاً سلطة جديدة منافسة للسلطة العلمانية ، مما أوجد نفوراً بين السلطتين الزمنية والروحية

ونلاحظ أيضا أن تدخل الكنيسة فى شئون السلطة الزمنية يمتد ويشتد بقوة تبعا لازديار ضعف الإمبراطورية الرومانية، الذى أدى فى النهاية إلى بسط سلطان الكنيسة المطلق وإحلالها محل الأباطرة فى تصريف شئون الدولة.

وهكذا أصبح الأساقفة يضطلعون بعبء التنظيم الإدارى فى أقاليم الإمبراطورية الرومانية فضلا عن قيامهم بمهام التنظيم الكنسى.

ولقد كانت هناك مساجلات بين الأباطرة والباباوات، نذكر منها مساجلة بين فردريك والبابا أدريان الرابع، إذ قال فردريك رداً على رسالة البابا: «إننا نتسلم الإمبراطورية من الله عن طريق انتخاب الأمراء، وأن شريعة الله تقتضى بأن يكون حكم العالم بواسطة سيده الإمبراطورية والبابوية كما قضت تعاليم القديس بطرس بأنه يجب على الناس أن يخافوا الله وأن يحترموا الملك، وعلى هذا يعتبر كل من يقول بأننا تسلمنا التاج الإمبراطورى إقطاعاً من البابا ملحد، باطل العقيدة، لأنه يخالف أوامر الله. وتعاليم القديس بطرس».

وبهذا استطاع فردريك أن يجعل من نفسه السيد العظيم خليفة قيصر. بيروسيا ١١٥٢ — ١١٩٠ م.

وقال جريجورى السابع — الذى تولى منصب البابوية سنة ١٠٧٣ م — بشأن الكرسى البابوى — «إن قوة الملوك مستمدة من كبرياء البشر، وقوة رجال الدين مستمدة من رحمة الله، إن البابا سيد الأباطرة، لأنه يستمد قداسته من تراث سلفه القديس بطرس

على أن هناك مشكلة دينية كبرى ظهرت فى ذلك العصر وامتد أثرها عدة قرون فى تاريخ غرب أوربا فضلا عن شرقها ، وهذه المشكلة قامت حول عبادة الصور والأيقـونات Cam.Med. Hist. Vol.4, P6[1] ومهما كان الأمر فإنه يبدو أن عبادة الأيقونات انتشرت انتشاراً سريعاً واسعاً فى القرن الثامن ، مما نشأ عنه صراع مستمر بين الأباطرة والبابوية وتطلب من الإمبراطور الأيسورى ليو الثالث علاجاً سريعاً لهذه المشكلة ، بل هناك رأى يقول : إن الإمبراطور ليو استغل هذه المشكلة للقضاء على نفوذ الأديرة اليونانية بعد أن تضخمت ثروتها ، وتضاعفت ممتلكاتها المعفاة من الضرائب ، وازدادت حقوقها وامتيازاتها ومسموحاتها ، مما جعلها خطراً على الدولة Thompson ; op. Cit vol p 144[2]

والغريب أن إثارة الحرب على الأيقونية بدأت فى الدولة الإسلامية عندما أمر الخليفة يزيد بن عبد الملك سنة ٧٢٣ بإزالة جميع الأيقونات من الكنائس الواقعة داخل حدود الدولة العربية Ostrogorsky;op. cit.p143[3] ثم انتقلت الفكرة بعد ذلك إلى

---

(١) موسوعة كامبردج لتاريخ العصور الوسطى مجلد ٤ صحيفة ٦

(٢) تاريخ العصور الوسطى لمؤلفه ج . و . طمسون مجلد ١ صحيفة ١٤٤

(٣) تاريخ الدولة البيزنطية لمؤلفه ج . أوستروجورسكى صحيفة ١٤٣

الدولة البيزنطية ، فبدأ ليو الثالث حملة ضد الأيقونات وعبادتها سنة ٧٢٦. وهنا لا نستطيع أن نجد تفسيراً لقوة الحركة اللاأيقونية فى الشرق وضعفها فى الغرب إلا أثر العقيدة الإسلامية التى قاومت الأصنام وعبادتها ، فضلا عن تأثير اليهود الذين حرموا عبادة الصور وتقديسها.Vasiliev; op, cit. Tome.1 pp.338, 339.[١]

كان المرسوم الذى أصدره ليو الثالث سنة ٧٢٦ بتحريم عبادة الأيقونات حازماً وشديداً ، إذ قضى بإزالة جميع التماثيل والصور الدينية من الكنائس والأديرة ، وبدأ المواطنون فعلا فى إزالة الصليب الكبير المقام فوق بوابة القصر الإمبراطورى فى القسطنطينية ولم تلبث هذه الأعمال أن استفزت رجال الكنيسة لا سيما فى الغرب حيث وقف البابا جريجورى الثانى ثم البابا جريجورى الثالث موقفا عنيداً من سياسة الإمبراطور اللاأيقونية حتى أصدر البابا جريجورى الثالث قراراً بحرمان الإمبراطور من رعوية الكنيسة سنة ٧٣١م.
Thompson; op. cit. vol 1. p. 144[٢]

ويهمنا فى هذا المقام أن النزاع اللاأيقونى كان له أثره الخطير فى إيطاليا والبابوية وعلاقتهما بالدولة البيزنطية. ذلك أن أواسط إيطاليا وروما

---

(١) تاريخ الإمبراطورية البيزنطية لمؤلفه أ . أ . فازيليف مجلد ١ صحيفتى ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

(٢) تاريخ العصور الوسطى لمؤلفه ج . و . طمسون ، ص ١٤٤ جـ ١

ورافنا وقفت جميعاً إلى جانب البابوية فى المعسكر الأيقونى . على حين كانت صقلية وجنوب إيطاليا فى جانب الإمبراطور اللاأيقونى

(١)Cam. Med. Hist. Vol. 4 p.10

وقد رد الإمبراطور ليو الثالث على قرار البابا بالحرمان من الكنيسة بأن حرم البابوية من حقوقها وأملاكها فى صقلية وجنوب إيطاليا وفصل الكراسى الأسقفية فى هذه الجهات عن سلطان البابا الدينى والقضائى ، وجعلها تحت نفوذه وسلطان بطريق القسطنطينية

(٢)Diehl & Marcais;op, cit.p.267

وهكذا جاء النزاع اللاأيقونى ليزيد من حدة الشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية ، مما كان له أثر واضح فى مستقبل الحوادث التاريخية

(٣) Lot; The End of the Ancient World, p.301

ولقد خلف الإمبراطور ليو الثالث ابنه قسطنطين الخامس (٧٤١ — ٧٧٥م) الذى وجد أن طريقة العنف وحدها غير كافية لتحقيق سياسته اللاأيقونية وأن كثيراً من الناس استمروا يباشرون عبادة الصور والأيقونات الدينية سراً : ولهذا لجأ إلى عقد مجمع دينى فى القسطنطينية سنة ٧٥٣، ٧٥٤م لتأييد سياسته العدائية للبابا

---

(١) موسوعة كامبردج لتاريخ العصور الوسطى ، ص ١٠ ج ٤

(٢) العالم الشرقى لمؤلفه س . دايهل ، ج ماركياس ص ٢٦٧ .

(٣) تاريخ نهاية العالم القديم لمؤلفه ف . لوط ص ٣٠١ .

وللأيقونية (1)Cam. Med. Hist. Vol. 4pp 13, 14
وكان أن قرر هذا المجمع تحريم تصوير المسيح بأى شكل من الأشكال لأن هذه الصور والتماثيل تعبر عن طبيعته الإنسانية والإلهية فى طابع مجسد بشرى ، وبذلك تطمس صفته الإلهية . أما صور القديسين فقد حرم المجمع عبادتها هى الأخرى بدعوى أن هذه العبادة ضرب من الوثنية وعبادة البشر .
(٢)Vasiliev: op. cit. Tome 1 p. 354

وهكذا اتخذ قنسطنطين من قرارات مجمع القسطنطينية سلاحاً قوياً ساعده على التطرف فى اضطهاد الأيقونيين والتنكيل بالديريين بوصفهم أشد أنصار الأيقونية ، بل إنه عمل على هدم الحياة الديرية فى بلاده بمختلف الطرق والوسائل وإن لم يتمكن من تحقيق هدفه (٣) Oman; The Dark ages pp-313—315

على أن هذا المجمع لم يكن مسكونياً إلا من الناحية الإسمية فقط لأن البابوية ردت على الدعوة لحضور هذا المجمع بإنزال اللعنة على كل من يحضره ، وامتنع عن حضوره بطارقة أنطاكية وبيت المقدس والإسكندرية — الذين كانوا فى حماية المسلمين ، وبذلك

---

(١) موسوعة كامبردج لتاريخ العصور الوسطى ص ١٣ ، ١٤ ج ٤

(٢) تاريخ الإمبراطورية البيزنطة لمؤلفه أ . أ . فازيليف ص ٣٤٥ .

(٣) العصور المظلمة لمؤلفه عمان صحائف ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ .

لم يحضر المجمع سوى ٣٤٠ ثلاثمائة وأربعين أسقفاً تقريباً برآسة بطريرك القسطنطينية (١)Diehl & Marcais؛ op. Cit. P. 271

هذا هو الصراع بين الأباطرة والبابوية ، يشتد بقوة نفوذ الأباطرة ، ويضعف بضعف نفوذهم . حتى آلت القوة نهائياً إلى البابوية التي استطاعت أن تفرض سيطرتها على الشعوب فى شئونهم الدينية والدنيوية .

ولعل أقوى دليل على هذا هو المجموعة التي تنسب إلى البابا جريجورى السابع ١٠٧٣—١٠٨٥م و تعرف باسم الإرادة البابوية Dictatus Papae

وأهم موادها : —

١ — البابا وحده هو الذى يتمتع بسلطة عالمية.

٢ — البابا وحده يمتلك سلطة تعيين الأساقفة أو عزلهم .

٣ — جميع الأمراء العلمانيين يجب أن يقبلوا قدم البابا وحده.

٤ — للبابا وحده الحق فى عزل الأباطرة .

٥ — لا يجوز عقد أى مجمع دينى عام إلا بأمر البابا .

٦ — ليس لأى فرد أن يلغى قراراً بابوياً ، ومن حق البابا وحده أن يلغى قرارات سائر الناس .

٧ — لا يسأل البابا عما يفعل ، ولا يحاكم على تصرفاته .

٨ — للبابا وحده أن يجيز لرعايا أى حاكم علمانى التحلل من

---

(١) العالم الشرقى لمؤلفيه . وايهيل ، ج ماركياس صحيفة ٢٧١ .

العهود وأيمان الولاء التى أقسموها لحكامهم.

(١)Thompson:op. cit, Vol. 1 pp. 439—440

وهكذا كان الصراع بين الأباطرة والبابوية صراعاً مريراً على حساب الكنيسة وحدها.

وهكذا أيضاً يبدو من هذه الإرادة البابوية أن البابوية آمنت إيماناً قوياً بأن البابا له السلطة فى حكم المجتمع المسيحى، وأنه يعزل الملوك والأباطرة بوصفه نائباً عن القديس بطرس.

ولهذا وجه جريجورى السابع مجمع روما الدينى المنعقد سنة ١٠٧٥م نحو اتخاذ قرار حاسم بشأن التقليد العلمانى هذا نصه: —

« إن أى فرد من الآن فصاعداً يتقلد مهام وظيفته الدينية من أحد الحكام العلمانيين يعتبر مطروداً من هذه الوظيفة ومحروماً من الكنيسة: ومن رعاية القديس بطرس، وإذا جرؤ إمبراطور أو مالك أو دوق أو كونت أو أى شخص علمانى على تقليد أحد رجال الدين مهام وظيفته الدينية فإنه يحرم من الكنيسة فوراً »

Fliche: L'Europe Occidentole P . 367

هذه هى المسيحية وتداخلها فى الشئون السياسية بالإضافة إلى نفوذها بعيد المدى فى الأمور الكنسية والنظم الكنسية التى تمخضت عن الأسرار السبعة التى يدين لها بالولاء والخضوع كل

(١) تاريخ العصور الوسطى لمؤلفه ج. و. طمسون مجلد أول صحيفتى ٤٣٩ — ٤٤٠.

مسيحى . وهذه الأسرار — من قبيل العلم بالأمر — هى :

١ — سر المعمودية (التنصير)   ٢ — سر الميرون (المسحة المقدسة)   ٣ — سر الأفخارستيا (العشاء الربانى)

٤ — سر التوبة (الاعتراف)   ٥ — سر مسحة المرضى

٦ — سر الزيجة   ٧ — سر الكهنوت .

وقد اعتبرت الكنيسة التقليدية (الكاثوليك والأرثوذكس) منذ بدايتها هذه الأسرار السبعة ، ولم يستبعدها وينكرها سوى البروتستانت الذين انشقوا عن الكنيسة الكاثوليكية فى القرن السادس عشر ، ولم يحصل بينهم اتفاق على عدد الأسرار ، وارتأى أتباع الكنيسة البروتستانتية أنه لا يوجد إلا سران فقط وهما المعمودية والعشاء الربانى ، وحجتهم فى ذلك أن الكتاب المقدس لم يذكر أن الأسرار الكنسية سبعة إطلاقاً .

ولسنا فى صدد تفنيد عقيدة ، بل بصدد مجرد التمثيل للوقوف على شى من التعاليم الكنسية التى تقدس كتقديس كلمة الكتاب المقدس .

وامتد النفوذ المسيحى وهيمنته على أمور أخرى منها العلم مما أدى إلى عدم ترك مجال للدراسات العلمية ، لأن العقيدة المسيحية — كما قال المعاصرون — تقوم على أساس الإيمان ، فى حين يعتمد العلم على التعقل والمنطق .

ويكفى أن يطلع المرء على كتابات مفكرى العصور الوسطى

مثل القديس أوغسطينوس ليدرك مدى التأخر العلمى الذى كانت عليه بلاد الغرب المسيحية .

هذا إلى أن إصرار الكنيسة على توجيه الناس إلى الحياة الباطنية «الجوانية» أعمى أنظار المعاصرين عن العالم الطبيعى المحيط بهم ، فالقديس أوغسطينوس سنة ٣٥٤ — ٤٣٠ م يبدى دهشته من أن الناس يذهبون بتفكيرهم بعيداً إلى التأمل فى ارتفاع الجبال ، أو دراسة مدارات الفلك والكواكب ، ويهملون التأمل فى أنفسهم ، بل إن القديس أوغسطينوس نفسه يهزأ من فكرة كون الأرض كروية ، تلك النظرية التى عرفها اليونان قبل ذلك بقرون ، ويصرح بأن فكرة نصف الكرة الشمالى يقابله نصف الكرة الجنوبى ، وأن عليهما مخلوقات خلقها القدير لتدب عليها — إنما هى فكرة باطلة هرطقية

وإلى جانب هذا الانحطاط فى التفكير العلمى انتشر الاعتقاد بالخرافات والمعجزات بين أهالى أوربا الوسطى حتى قضت هذه الشعوذة والأباطيل على البقية الباقية من المعرفة العلمية .

ومما زاد الأمر سوءاً أن أوربا فى العصور الوسطى — وهى تعيش فى ظلمات بعضها فوق بعض — تورث العالم المخطوطات القديمة ، ومنها النسخ القيمة للكتاب المقدس . هذه الثروة الهائلة ورثها العالم من تلكم الأجيال التى تفشى فيها الجهل ، ورداءة الخط وانحطاط اللغة ، والإيمان بالخرافات والمعجزات .

فكيف للجيل الذى بلغ فى مدى تفكيره الحر الطليق أن يصل إلى التفكير فى الدوران حول الأرض ، وإصابة العدو على بعد مئات الأميال من قاعدة الصواريخ دون أن تتحرك قوة للدولة المحاربة وأخيراً إلى القمر .

كيف لهذا الجيل أن يتقبل مثل هذه المخطوطات ، ويستند إليها ، ويعتمد على صحتها . إنى أرى المنطق يقول كيف نؤمن بتراث موروث من عهد تفشى فيه الجهل، ورداءة الخط ، وانحطاط اللغة وهيمنة الكنيسة على الشئون الزمنية والدينية ، وتفشى المعتقدات الباطلة ، مثل صكوك الغفران ، والمطهر ، وغير ذلك مما ندد به لوثيروس الراهب الألمانى زعيم الإصلاح ومؤسس الكنيسة البروتستانتية فى القرن الخامس عشر ؟ .

وقد كان نتيجة لهذا كله ذلك الفساد الذى استشرى ، وعم ربوع الإمبراطورية الرومانية التى تعرضت بسببه للغزو الأجنبى .

ولذلك تعرضت الإمبراطورية البيزنطية فى عهد هرقل لغزو الفرس ، فنى سنة ٦١٤ م اجتاح الفرس بلاد الشام واستولوا على أورشليم (بيت المقدس) وفى سنة ٦١٦ م استولوا على مصر .

ولم يشأ هرقل أن يستسلم لهذه الحروب من الجبهتين : الشرقية (بلاد فارس) ، والغربية (الآفار) ، فأخذ يعد جيوشه لمحاربة الفرس ، وأخذت الحملة التى أعدها بنفسه طابعاً دينياً لاسترداد

الصليب الأعظم ، وبهذا الطابع الديني تجهزت الحملة التي مكنت هرقل من توجيه ضربة قاصمة إلى الفرس ، فتقدم سنة ٦٢٦ م عبر سهول دجلة والفرات نحو قلب الإمبراطورية الفارسية حيث أنزل بكسرى الثانى (٥٩٠ — ٦٢٨ م) هزيمة ساحقة فى ديسمبر سنة ٦٢٧ م قرب أطلال نينوى ، وعندما فر كسرى الثانى ، من ميدان المعركة لحق به هرقل إلى المدائن عاصمة الفرس . مما أدى إلى قيام ثورة داخلية أطاحت بكسرى الثانى ، وجعلت خليفته يعقد صلحاً مع الإمبراطور البيزنطى على العودة إلى الحدود التى كانا عليها من قبل سنة ٦١٤ م .

على أن أحوال الدولة الفارسية لم تستقر بعد ذلك ، إذ تكاثرت الثورات والانقلابات الداخلية حتى تعاقب على عرش فارس — فى فترة تسع سنوات تالية — أربعة عشر حاكماً ، مما فرق أوصال الدولة الفارسية . وجعلها مسرحاً للفتن والقلاقل الداخلية .

وفى ذلك الوقت تعرضت الدولة الفارسية لغزو من نوع جديد ، غزو لسحق الوثنية فى موطنها ، عن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه إلى كسرى مع عبدالله ابن حذافة السهمى ، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه مزقه ، فحسبت أن ابن المسيب قال : فدعا عليهم رسول الله عليه السلام أن يمزقوا كل ممزق . رواه البخارى ص ٦ . ج ٦ .

ذلك النوع الجديد من الغزو هو انسياب الجيوش العربية مؤمنة بربها ، وبرسوله الكريم وبكتبه وملائكته وبرسله وباليوم الآخر حتى أنعم الله عليهم بنصر رائع فى موقعة نهاوند سنة ٦٤١م، وبذلك دالت دولة الفرس لتصبح جزءاً من الوطن الإسلامى العربى الكبير .

العالم فى فجر الإسلام

علمنا فيما سبق أن دولتى الفرس والروم كانتا فى شغل شاغل بالنزاع والحروب المستمرة فيما بينهما ، مما صرفهما عن الاهتمام بما يجرى فى شبه الجزيرة العربية من مولد الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سنة ٥٧٠م تقريباً . والحدث التاريخى للهجرة النبوية الشريفة سنة ٦٢٢م تقريباً : ثم ماتبع ذلك من إنهاء حالة الفوضى والتفكك السياسى والنزاع القبلى التى عاش فيها العرب قروناً طويلة ، فقد أدى انتصار الإسلام إلى جعل العرب أمة واحدة ، متساندة متماسكة ، تخضع لحكومة واحدة وتدين بدين واحد ، شعاره (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

على أن رسالة الإسلام لم يقصد بها العرب وحدهم ، بل العالم أجمع . ومن ثمّ أصبحت مهمة الرسول بعد أن تم له توطيد دعائم الإسلام فى بلاد العرب أن يدعو الأمم المجاورة لاعتناق الإسلام قال تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (١) وقال تعالى : (وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيداً) (٢) وفى الحديث الشريف : « وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس كافة» . وبهذا يتضح الفارق بينه وبين الأنبياء قبله .

---

(١) ٢٨: سبأ (٢) ٧٩: النساء

وقد كتب الرسول كتباً إلى الأباطرة والملوك حوله ، يدعوهم إلى الإسلام ، إلى دين الوحدانية. ومن كتبه كتاب رفعه إلى المقوقس حاكم مصر هذا نصه : (من محمد بن عبدالله ، أما بعد فأنى أدعوك بدعاية الإسلام . أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم القبط . يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) (١)

وقرأ المقوقس الكتاب ، ثم طواه فى عنايةوتوقير ، ووضعه فى حق من عاج . ودفعه إلىواحدة من جواريه ، والتفت بعدذلك إلى حاطب بن أبى بلتعة يسأله أن يحدثه عن النبى ، ويصفه له . فلما فعل فكر المقوقس ملياً ، ثم قال لحاطب : قد كنت أعلم أن نبياً قد بقى ، وكنت أظن أنه يخرج من أرض العرب ، ولكن القبط لا تطاوعنى ، وأنا أضن بملكى أن أفارقه .

وقدكان من حب الرسول لمصر ولأقباط مصر ما دفعه أن يوصى بهم خيراً بقوله : « استوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً » . صدق رسول الله الكريم .

ويبدو أن بعض الرسل الذين أوفدهم النبى إلى ملوك الدول المجاورة وحكامها قد صادفوا إعراضاً بل امتهاناً ، مما جعل النبى

(١) ٦٤ : آل عمران

الكريم يعد العدة ، ويأتمر بأمره تعالى : (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)(١)

وجاهد الصحابة فى سبيل الله جهاد حق وصدق ، ونظمت الجيوش العربية دفاعاً عن كيانها وكرامةدينها ومبادئها ، وشعارها فى كل هذا (لاإله إلا الله محمد رسول الله) ، (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (وما النصر إلا من عند الله) .

وزحفت الجيوش العربية عقب سنة ٦٣٢ م تنقض على الإمبراطورية الرومانية البيزنطية فى عهد الإمبراطور هرقل ، وعلى الدولة الفارسية الساسانية فى عهد ملوكها الذين يتعاقبون واحداً تلو الآخر ، فتسحق الدولتين ، وتتحقق نبوءة الملك نبوخذ نصر فى الحلم الذى رآه وفسره له النبى دانيال ، وهذ هو تفسير الحلم : «كنت تنظر ، وإذا بحجر يقطع من جبل بلا يدين هذا الحجر يسحق التمثال كعصافة تذروها الرياح» ، هذا الحجر هو الأمة العربية فى شخص الرسول الكريم ، سحق حضارات الأمم السابقة ، ومنها الإمبراطورية الرومانية والدولة الفارسيةالساسانية وأصبح الإسلام كالجبل وعلمه (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

---

(٤) ٦٠ : الأنفال

وليس العجيب فى أمر الغزوات العربية الدفاعية ضد اعتداء الدول المعادية — إن العرب اجترءوا على مهاجمة الفرس والروم وهما أكبر إمبراطوريتين عرفهما العالم بل التاريخ منذ فجر المسيحية حتى القرن السابع المسيحى — ليس العجيب هذا - بل العجيب فى الأمر أن العرب غزوا فارس فى نفس الوقت الذى غزوا فيه إمبراطورية الروم ، وأحرزوا انتصاراتهم الضخمة الرائعة على الدولتين فى وقت واحد ، إذ تحركت الجيوش الإسلامية فى صحراء فلسطين سنة ٦٢٩م على أثر انتهاء المعارك المريرة بين الإمبراطوريتين : الرومانية والفارسية ، وكأن الله قد أراد للأرض خيراً بانتصار المسلمين إذ خذل به الباطل والبطش والغرور بعد أن مهد لذلك بما كانت تعانيه الإمبراطورية الرومانية من غزوات البرابرة المهاجمين لأراضيها فى البلقـــان ، وحركات إنفصالية أخذت تقوى عند أقباط مصر ، والأراميين فى سوريا ، والأرمن عند أطراف آسيا الصغرى ، مما هدد كيانها ووحدتها تهديداً خطيراً .

وفى خلافة أبى بكر الصديق أمر بتسيير جيشين : أحدهما لغزو الروم ، والثانى لغزو الفرس سنة ٦٣٣ م . وهكذا أخذت الجيوش العربية — بقيادة أبى عبيدة الجراح — تعمل فى الشام ضد الروم ، فى حين كان الجيش الثانى بقيادة خالد بن الوليد يعمل فى العراق ضد الفرس .

وقد حاول الإمبراطور هرقل إرسال قوة ضاربة بقيادة أخيه تيودور لإنقاذ الموقف فى فلسطين ، ولكن القائد العربى المغوار خالد بن الوليد أتى مسرعاً من العراق لنجدة إخوانه بالشام ، وبذلك أمكن إنزال هزيمة ساحقة بالقوات البيزنطية فى موقعة أجنادين سنة ٦٣٤م .

وعندما توفى الخليفة أبو بكر الصديق خلفه عمر بن الخطاب ٦٣٤ — ٦٤٤ م . الذى اتسعت فى عهده فتوحات الإسلام ، فاستولى المسلمون على دمشق سنة ٦٣٥ م ، ثم على حمص بعد قليل ، وعندئذ ثار الإمبراطور هرقل ، وحشد جيشاً من ثمانين ألفاً من رجاله لقتال العرب ، ولكن خالد بن الوليد أنزل بالجيوش البيزنطية عند اليرموك سنة ٦٣٦ م هزيمة جديدة ساحقة .

ولما أدرك هرقل أنه من الصعب محاربة المسلمين ترك بيت المقدس تقع فى أيدى المسلمين سنة ٦٣٧ — ٦٣٨ م .

ولم تكن انتصارات العرب على الفرس أقل مرتبة من انتصاراتهم على الروم ، ففى سنة ٦٣٧ م كان العرب قد فتحوا العراق ، وفى سنة ٦٤١ م أحرزوا انتصاراً ساحقاً على نهاوند ، مما فتح الطريق أمامهم إلى قلب بلاد الفرس .

ولم تجد مقاومة الفرس العنيفة فى وجه العرب الذين تم لهم القضاء على يزدجرد الثالث آخر ملوك بنى ساسان سنة ٦٥٢ م .

وبذلك اختفت المملكية الفارسية من الوجود وتم للعرب فتح فارس كلها .

وكان العرب من قوة الإيمان والاستبسال فى الجهاد فى سبيل الله فى مستوى رفيع استطاعوا به فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص سنة ٦٤١ م ، أى قبل أن ينتهوا من فتح فارس ، ويعتبر فتح مصر بالذات مثلا واضحاً على مدى ضعف الدولة الرومانية البيزنطية وانحلالها سياسياً .

ولعل ما عرف عن المسلمين من تسامح مع الشعوب المقهورة جعل تلك الشعوب تدرك أن خلاصها من الاضطهاد العنصرى والدينى الذى تلاقيه على أيدى البيزنطيين ان يكون إلا على أيدى هذه القوة الجديدة التى بدأت تتوغل فى الإمبراطورية الرومانية المتداعية وأخذ شعب مصر يترقب زحفها إلى مصر ، ويتمنى مجيئها .

ويقول سير أرنولد : « أن ميخائيل الأكبر اليعقوبى كان يرى فى فتح العرب المسلمين لمصر وفى انتصاراتهم المتلاحقة يد العدالة الإلهية التى بعثت لتثأر لما نال الكنيسة المصرية من تعذيب واضطهاد » .

ولقد أسرع المصريون إلى اعتناق الإسلام حباً وكرامة ، لتعاليمه الصافية ، وإيماناً منهم بأن المبادىء السامية التى يطبقها العرب المسلمون فى سلوكهم معهم جديرة بأن تكون جزءاً من حياتهم الاجتماعية .

ولقد سار المسلمون فى نشر دعوتهم فى ضوء المبدأ الأساسى

للإيمان وهو (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) . وليس هناك من دليل على تقدير المسلمين للمواطنين ولو كانوا على غير دينهم وملتهم أوضح من سرعة انتشار الإسلام بين المصريين.

لقد استعادت الكنيسة القبطية فى مصر فى ظل الحكم الإسلامى قوتها ونفوذها . وأصبح أقباط مصر يؤدون طقوسهم الدينية فى حرية مطلقة ، بفضل المبادىء الإسلامية النقية الصافية (لا إكراه فى الدين) .

هذه المبادىء السامية ساعدت العرب على الاستيلاء على قبرص سنة ٦٤٨ — ٦٤٩م وعلى رودس سنة ٦٥٣م ، بل هاجموا القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية ذاتها سنة ٦٦٧ م . ثم سنة ٦٧٢ — ٦٧٣ م ، فى حين انتهوا من غزو شمال أفريقيا بأكمله سنة ٧٠٩م بفضل جهود موسى بن نصير .

التوسع الإسلامي وأثره

كان للفتوحات الإسلامية الأثر البعيد فى البلاد التى دخلت تحت لواء الإسلام ، وظهر هذا الأثر بوضوح فى شمال أفريقيا ، إذ تحول شمال أفريقيا ومصر بأكملها من الحضارة اللاتينية إلى الحضارة العربية ، ومن الديانة النصرانية إلى الديانة الإسلامية .

ولا عجب أن يسارع البرابرة — الذين طالما كانوا أشدعناداً فى حروبهم — إلا الاندماج فى تيار الحضارةالجديدة ، ويصبحوا مسلمين ، ولم يكن هناك أى تدخل من جانب السلطات الإسلامية الحاكمة فى عقائد المسيحيين المصريين أو كنيستهم ، ولم يحدث قط أن شكا أحد من المسيحيين من تعرض المسلمين له فى مجال نشاطه الدينى،وفىهذا منتهى ماتصل إليه حرية العقيدة : أن تجد — على اختلاف منازعها — حماية كاملة من الدولة .

وقد ينسى الغرب الحروب المذهبية الدامية منذ عهد لونيروس إلى القرن الثامن عشر ، ويأخذ على المسلمين فى عهد الدولةالأموية حركة التذمر التى سادت أقباط مصر ، والتى لم يكن من ورائها أى لون من ألوان الاضطهاد الدينى ، فهلا أخذ على الإمبراطور دقلديانوس أنه أذل المسيحيين ، وحاول إبادتهم حتى أن أقباط مصر ربطوا تقويمهم القبطى بهذا الاضطهاد الدينى الذى حل بهم ؟

وهل ينسى الغرب الاضطهاد الدينى السافر للعقيدة الذىجعل أقباط مصر يؤدون شعائرهم الدينية تحت الأرض أو فى أقبيـة

بعيدين عن أنظار الرومان ؟ هل ينسى الغرب هذا كله وينسى ما حدث منذ ١٦٧٨ (ش)[١] ، وهى السنة القبطية .

الواقع يا غرب أن هذا التذمر الذى وقع من أقباط مصر فى عهد الدولة الأموية لم يكن وليد اضطهاد دينى ، بل كانت ترجع أسبابه إلى ظروف اقتصادية بحتة إكتنفت الدولة الأموية فى فترة من فترات توسعها السياسى والعمرانى ، وأرادت أن تعتمد فى نفقاتها على دخلها القومى ، مما استلزم فرض ضرائب على الولايات الإسلامية التى كانت مصر واحدة منها . ولم تفرض هذه الضرائب على أقباط مصر فحسب ، بل عليهم وعلى المسلمين أيضاً وهذه هى العدالة المطلقة فى الواجبات التى تفرضها الدولة على المواطنين.

بل أكثر من هذا يا غرب لقد استطاعت الأمة الإسلامية — بعد توسعها السياسى شرقاً وغرباً — أن تقصم ظهر الأباطرة والملوك ، وأن تغسل سبعمائة سنة عاشها الغرب فى ظل الإمبراطورية الرومانية ، والشرق فى ظل الدولة الفارسية ، استطاع الإسلام أن يغسل عقول سكان تلكم الأقاليم مما علق بها من عقائد فاسدة وتعاليم باطلة ، وتقاليد سقيمة . استطاع الإسلام أن يضىء عليهم كضياء الشمس فى وضح النهار ، وكفى هذه الشعوب فى هذه الأقاليم أن تتمتع بالنور الربانى الذى يشعه عليها القرآن الكريم وسنة الرسول الكريم .

---

(١) شهداء بدء التقويم القبطى

وقد ازداد التوسع حتى بلغ سردينيا سنة ٧١١م ، وأسبانيا سنة ٧١١ — ٧١٣ م .

وأن أثر العرب والإسلام فى تاريخ العصور الوسطى لا يقف عند حد التغييرات السياسية التى أحدثوها فى أوضاع العالم المعروف، بل يبدو هذا الأثر أشد ما يكون وضوحاً فى الميدان الحضارى .

والحضارة العربية الإسلامية تقوم على دعامتين أساسيتين : هما اللغة العربية، والديانة الإسلامية، ومازالت السرعة التى انتشرت بها اللغة العربية والديانة الإسلامية لغزاً يثير حيرة المفكرين .

فاللغة ليست باللغة السهلة القليلة التعقيد حتى يقال أن سهولتها أدت إلى سرعة انتشارها من المحيط الأطلسى حتى الخليج الفارسى ومع هذا نجحت فى أن تبسط سيادتها على جميع البلاد التى فتحها العرب وحكموها زمناً طويلا باستثناء فارس . ولم يستطع الباحثون تفسير هذه الظاهرة : ظاهرة انتشار اللغة العربية إلا فى ضوء انتشار العقيدة الإسلامية نفسها ، وما تطلبته هذه العقيدة من معرفة بأصول اللغة العربية لأداء فروض الدين .

ويقول بيكر: «أن أوربا فى العصور الوسطى نظرت إلى انتشار الإسلام من وجهة النظر الكنسية الدينية ، وكأن الكنيسة قد أفزعها وآلمها ضياع البلاد بالشام ومصر وأعالى العراق ، وكانت كلها ترتبط بأصول مسيحية، فراحت تفسر انتشار الإسلام فى هذه البلاد بأنه لم يتم إلا بحد السيف .

وهم بهذا الادعاء يموهون على خوف ينتابهم ورهبة تسرى فى أوصالهم عند سماعهم للإسلام والعرب : وقد سجل عليهم التاريخ أنهم لم يكن لهم شأن يذكر حتى احتضنهم العاهل الرومانى الإمبراطور قنسطنطين بحمايته لهم وحماية عقيدتهم ، وذلك باستصدار قانون بمرسوم ميلان سنة ٣١٣ م باعتبار أن المسيحية دين رسمى للدولة ، شأنها فى ذلك شأن الوثنية .

أما الأسلام فهو كالعملاق الذى ولد ولم يركن إلى حماية دولة من الدول بل استمد مجده من الله الملك القهار . فهو كالعملاق الذى يحمى ولا يبدد ، يصون ولا يهدد ، وهو فى كل هذا يحرص كل الحرص على العزة والكرامة .

ومع هذا فإن « بيكر » يؤكد أن النظرة السالفة التى مازال بعض المثقفين فى أوربا حتى اليوم يعتقدون صحتها ، بعيدة عن الواقع لأن الوثائق المعاصرة كلها تثبت أن العرب لم يفرضوا دينهم على أهالى البلاد المفتوحة ، بل فرضوا سيطرتهم السياسية لاغير ، فسيطرة العرب السياسية هى التى انتشرت بقوة السلاح أما الديانة الإسلامية نفسها فقد وجدت سبيلها إلى قلوب عدد كبير من أهالى البلاد المفتوحة ، بدليل ما أجمعت عليه الوثائق من تسامح العرب المطلق مع المسيحيين واليهود على السواء ، وهو تسامح لم يخطر على بال إنسان ولم يحظ به المسيحيون واليهود فى ظل حكامهم السابقين . (موسوعة كمبردج لتاريخ العصور الوسطى المجلد الثانى صحيفة ٣٢٠)

ولا شك أن روح التسامى والتسامح التى عرف بها العرب ، والتى لا يوجد لها نظير فى الشرق أو الغرب فى العصور الوسطى كان لها أكبر الأثر فى تفهمهم للحضارات الأخرى السابقة تفهماً صحيحاً واضحاً ، وفى تفهم الأوربيين والإفريقيين لحضارتهم تفهماً مفيداً (موسوعة كمبردج أوربا العصور الوسطى المجلد الثانى صحيفة ٩٢ ، ٩٣) .

ذلك بأن العرب لم يفرقوا فى نشاطهم الحضارى بين المسلمين وغير المسلمين ، بل سمحوا للنصارى واليهود بالتتلمذ عليهم ، والاستفادة منهم . فأقبل الأوربيون فى الأندلس وصقلية ، والآسيويون فى الشام وغيرها ، على دراسة المعارف الإسلامية وترجمتها ، مما ساعد على نهضة أوربا فى العصور الوسطى .

نظرة إلى التاريخ :

أصبح الإسلام قوياً بتضامن المسلمين . ووقف العالم بأسره أمام الفتوحات الإسلامية وكأنه فى لغز ، واشتغل الكثير من العلماء والمؤرخين لفك طلسم هذا اللغز .

فالعرب الذين غزوا العالم الرومانى فى القرن السابع وأوائل القرن الثامن كانوا أقل عدداً من الجرمان الذين تدفقوا على الإمبراطورية الرومانية من قبل ، ومع ذلك أذابت الحضارة الرومانية والعقيدة المسيحية تلك الشعوب الغازية فى ذاتها فتلاشت

نهائياً . فى حين كان الانتصار الساحق فى الجهات التى انتزعها العرب واستقروا فيها — مثل الشام ومصر وشمال أفريقيا والأندلس — سبيلا إلى انتشار القرآن بنوره ، والإسلام بتسامحه ، فانتصر الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا . وما لبثت تلك الشعوب التى دانت للإسلام أن ذابت فى دين الله وصارت مع الفاتحين بنعمته إخواناً مسلمين متحابين .

وهذه الظاهرة البارزة العظمى ليس لها سوى تفسير تاريخى واحد ، هو أن الجرمان لم يكن لديهم من الطاقات النورانية أو الحضارية ما يواجهون به القوة الرومانية والكنيسة الكاثوليكية وسطوتها الروحية والدنيوية ، فلم يلبثوا أن استوعبتهم الإمبراطورية الرومانية بحضارتها ، والكنيسة بعقيدتها ، فذاب الغزاة فى المجتمع الذى غزوه .

أما العرب فقد تقدموا وظهروا مزودين بعقيدة جديدة ، وديانة سماوية ، أدت إلى تماسكهم ، وحالت دون ذوبانهم فى المجتمع الجديد ، عاملين بقوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . .)(١) وقوله : (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ، ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيما .)(٢)

---

(١) ١٠٣ : آل عمران (٢) ٤ : الفتح

صوت العشيرة المحمدية

فى ذكرى ميلاد السيد المهتدى / إبراهيم خليل

للأستاذ السيد أبو الفيض قاسم مظهر

بالحب أسريت لمّا الحق ناداكا
وازينت بجلال النور دنياكا

بالأمس جئت لروض كنت تجهله
واليوم تعرفه عمقاً وإدراكا

يا تاركا دين عيسى غير كارهه
لكن كرهت به إفكا وأفناكا

كرهت قوماً على نهج الهدى اختلفوا
وطلسموا الفكر تعقيداً وإشراكا

وزيّفوا منطق التوحيد واختلقوا
مناهجا نثرت فى الروض أشواكا

وفلسفوا كل شىء فى عقيدتهم
حتى أضافوا لأهل الشك شكاكا

فرحت تغلق للشيطان نافذة
ورحت تفتح للرحمن شبّاكا

سألت قلبك تستفتى مشاعره

فى لهفة لم تعد تخفى بنجواكا

فكان بالحب والإعجاب منطقه

ومنطق الحق بالأسرار أفتاكا

وقال قلبـــــــك يارنى أنا قلق

وليس يدرك شجو القلب إلا كا

سمعت صوت الهدى ينساب منشدا

إليك واغتر و رقت بالشجو عيناكا

أبا الخليل وهذى كنية سلفت

بها المحبة من قلب تصباكا

الرائد السيد الزاكى بفطـرته

ومن يسر المنى والحق أرضاكا

أهدى إليك الرضا لما أتيت له

والبشر رف وغنى فى محياكا

أهدى إليك سلام الروح منطلقـا

من بعد يأس وإظلام تغشاكا

فبـارك الله بالنعمى عشيرتنـا

وبارك الله من بالخير سماكا

أشهر المراجع

١ — القرآن الكريم .
٢ — الكتاب المقدس (١) ، الطبعة الأمريكية ببيروت ،
(ب) الطبعةاليسوعية
٣ — تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط .
للأستاذ يوسف كرم
٤ — أوربا العصور الوسطى ، التاريخ السياسى ،
للدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور
٥ — المسيح قادم ، على عبد الجليل راضى
٦ — أبو بكر الصديق ، محمد حسين هيكل
٧ — قصص الأنبياء الأستاذ عبد الوهاب النجار

بالإضافة إلى هذه :

١ — موسوعات علمية عالمية فى اللاهوت والدراسات المسيحية باللغة الإنكليزية أو الفرنسية .
٢ — تفاسير للقرآن الكريم .
٣ — تفاسير للكتاب المقدس لكبار اللاهوتيين الإنكليز أو الأمريكيين .

الإجازات العلمية والوظائف الكهنوتية

للمؤلف

---

١ — دبلوم كلية أسيوط الأمريكية — أسيوط — سنة ١٩٤٢م

٢ — دبلوم كلية اللاهوت الإنجيلية المشيخية — القاهرة — سنة ١٩٤٨م (١)

٣ — عين قسيساً راعياً لكنيسة باقور / أسيوط سنة ١٩٥١م

٤ — عين قسيساً أستاذاً للعقائد والإسلام بكلية اللاهوت بأسيوط سنة ١٩٥٣ .

٥ — عين قسيساً مبشراً بالإرسالية الألمانية السويسرية فى أسوان سنة ١٩٥٤ حتى سنة ١٩٥٥م .

---

(١) ممن تقلد وظائف حكومية المستشرق الفرنسى الدكتور كومب مدير مكتبة بلدية الإسكندرية ومنظم مكتبة جامعة الإسكندرية كان حائزاً على دبلوم اللاهوت من جامعة باريس ثم تخصص فى اللغة الأشورية ونال درجة الدكتوراه فيها .

ومن دراستى بكلية اللاهوت فى المرحلة كلها : اللغة العبرية واللغة اليونانية

كلمة الأخ الدكتور على حسب الله

أستاذ الشريعة بكلية دار العلوم

مما يسعدنى ويشرفنى أن يجد هذا الكتاب تقديرا بعد تقدير من قادة الرأى ، وسادة العلماء فى الجمهورية العربية المتحدة

ولقد وصلنى بعد الفراغ من الطباعة تقريظ الأخ الكبير الدكتور على حسب الله أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم ولأن المناسبة كانت قد خرجت من يدى فإنى أقدم شكرى مسجلا هنا مع الوعد بتقديم كلمة التقريظ كاملة فى الطبعة المقبلة إن شاء الله تعالى ؟

٢٥ يونيو ١٩٦٤

المؤلف

الفهرســــت

صفحة

	صفحة
تقديم للمؤلف	٣
تقريظ الكتاب بقلم الدكتور عبد الحليم محمود على	١٢
تقريظ الكتاب بقلم الأستاذ محمد الغزالى	١٦
التوراة والإنجيل تتنبأ ببعث الرسول الكريم	١٩
ما الذى اختلف عليه أهل الكتاب	٢٣
المسيح عليه السلام يتنبأ بمقدم الرسول الكريم	٤٠
المسيحية وتطويرها	٤٤
المسيحيون والتعاليم الكتابية	٥٦
القرآن الكريم يهدى أهل الكتاب إلى الصراط المستقيم	٦٧
الرسول الكريم وإيمانه بشخص المسيح عليه السلام	٨٠
شهادة الإنجيل	٨٣
مقارنة بين تعاليم المسيح وتعاليم بولس	٩٥
الكتاب المقدس والعقيدة المسيحية	١٠٤
(ا) الكتاب المقدس	١٠٤
(ب) العقيدة المسيحية	١٠٥
(١) المجامع الكنيسية	١٠٥
(٢) الفلاسفة وتطوير العقيدة	١١٣

صفحة

(٣) الصليب ١١٥
(أ) التاريخ السياسى للصليب ١١٦
(ب) التاريخ الدينى للصليب ١٢١
العالم قبل بزوغ الإسلام ١٣٠
العالم فى فجر الاسلام ١٤٥
التوسع الإسلامى وأثره ١٥٢
صوت العشيرة المحمدية ١٥٨
أشهر المراجع ١٦٠
الإجازات العلمية والوظائف الكهنوتية (للمؤلف) ١٦١
كلمة الأخ الدكتور على حسب الله ١٦٢

دار الطباعة القومية
(النجاح سابقا)
[illegible] ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة

مكتبة الوعى العربى

شارع كامل صدقى رقم ٥ الفجالة

القاهرة - ج ٠ ع ٠ م ٠

الثمن : ٢٠ قرشا